عائد من مواكب الراحلين

منى سليمان

رواية

عائد

من

مواكب

الراحلين

منى سليمان

إلى الفرحة الأولى

التى ملأت قلبي

وجعلتنى أحب الحياة

وأقبل عليها

إلى أحمد ابنى

الحياة تنتظر دوماً تأزم الأوضاع

حتى تُظهر براعتها

باولو كويلو

الفصل الأول

مرحلة الإنتفاضة

قديماً قالوا عندما تشتد الأزمات يأتى الفرج ,,,

لذلك تجد أن أشد أوقات الليل إظلاماً هى تلك الدقائق التى تسبق بزوغ الفجر.

وها هى حياتى قد انطفأت أضواؤها. فأين الفجر ليضئ بنوره الحنون أيام حياتى .

رضيت دائماً بقدرى وما كتبه الله لى .. وسرت دائماً على الطريق الذى رسمه لى أبى ..

ليس إقتناعاَ منى بأنه خير طريق .. ولكن فرحته بى كانت تسعدنى .

فإمتدت الحياة بى رغم أن اليوم يمر بطيئاَ وكأنه عام .

أتعامل مع برود زوجى وجفوته التى ترافقه منذ ليلة زفافى بصبر ورضا بالرغم من علمى بأنه يعرف غيرى ويهاتفها وينتظر معها اليوم الذى يقترن بها .. فأنتظر معهما ذلك اليوم حتى أتخلص منه ..

لأنى أجبن من أن أطالبه بالطلاق فأبى سيرفض فـ حتى عندما أخبرته بعلاقة زوجى بحبيبته القديمة قال :

- اجعلى الخطوة الأولى تكون منه .. حافظى على حياتك وحياة بناتك .

وقالت أمى :

- لا تهدمى بيتك بيدك .

لكنه ليس بيتى .. هو بيت زوجى وحماتى ولا وجود لى به ولا مكان لى فيه .. أنا مجرد ضيفة شرف .

فيكون ردهم دائماً اصبرى يا بنتى .

صبرت طويلاً ولا أعلم إلى متى سأصبر ..

صبرت على سرقة حماتى لحياتى .. فهى تتولى عنى كل شئ .. مسئولية البيت ومسئولية زوجى ومسئولية بناتى .. وكنت راضية

فهى تدير كل شئ بسعادة ورضا .. البنات متفوقات دراسياً ومقبلات على الحياة ويمارسن الكثير من الأنشطة التى حُرمت منها طيلة عمرى لأن والدى كان يظن أنها ستُصرفنى عن المذاكرة .

بيتى جميل مرتب مملوء بالتحف الجميلة التى حرص والدا زوجى على جلبها من كل مكان فصار كأنه متحف وأنا كموميا‌ء فرعونية أتحرك بداخله ..

حتى حجرتى لم يكن لى فيها أى خصوصية .. تحرص حماتى على مرافقة الشغالة لترتيبها , تحصى على أنفاسي , تعلم كم مرة أدخل الحمام ليلاً , من حادثنى فى الهاتف , متى يقربنى زوجى .. حتى أنها تحثه على أن يقربنى .. سمعتها يوماً تقول له :

- مر عليكما أكثر من شهر وهذا شئ غير صحى .. فأجده ليلاً يقربنى طاعةً لأمه أو خوفاً من فقده لقدراته كذكر فأكون معه بارده كلوح من الثلج .

نعم كانت علاقتهما تسمح بمناقشة كل شيئ حتى أدق خصوصياتى .. تحضر خياطتها لتحيك لى ملابسي وتختار لى الالوان والموديلات كما تختار ثيابها وثياب بناتى .

والحقيقة كان ذوقها يعجبنى فلم أعترض ولم أعترض أبداً يوم حلت حماتى محل أمى وأبى واستولت على حياتى ..

لكن برودها وتعاليها لم أستطع التعايش معهما فهى تشبه الإنجليز وتتشبه بهم فى نظامهم وبرودهم وتتمسك بالإيتيكيت .. الشاى مع الكيك فى الخامسة مساء .. ممنوع الزيارة إلا بموعد سابق وتخصص يوماً كل أسبوع ليزورنا فيه الأصدقاء .. ولابد أن يرتدى كل الخدم يونيفورم خاص.

أما عملى كطبيبة فكان صورة مكرره مما يحدث فى بيت زوجى فهو مدير المستشفى .. ويتولى عنى كل الحالات .

وكنت راضية هادئة مستكينة حتى بدأت تحدث معى تلك الأشياء الغريبة .. بدأت الإنتفاضة .. وأنا أسميها إنتفاضة لأنى تعرضت لها

وحاولت أن أخرج بها من جسمى المسكون بالألم المملوء بالقهر.

فى البداية رأيت مناما أفزعنى .. كانت تلك الرؤية تتكرر كثيراَ ثم بدأت أراها فى الليل والنهار فى اليقظة والمنام ..

رأيتنى أقود سيارة جيب كبيرة و أسير بها فى طريق مظلم .. ثم رأيتنى أفتح تابلوه السيارة وأخرج منه مسدساً ثم أتأكد من حشوه وأنظر فى المرأة .. هناك سيارة تتبعنى أضغط على البنزين ..

لكنهم مصرون على ملاحقتى كما أن سيارتهم سريعة تدنو منى .. تجاورنى .. يحاول سائقها أن يسبقنى ويسد على الطريق ..

أخرج مسدسي وأبدأ فى أطلاق الرصاصات .. لكنهم أسرع منى يطلقون الرصاص على فتسقط رأسى على عجلة القيادة .. ويستمر الرجل الذى يرتدى جلباباَ أبيضاَ بإطلاق الرصاص على السيارة وعلى الإطارات وبجانبه السائق يصرخ فرحاً فتنقلب السيارة التى أقودها وتتصاعد منها النيران ..

تفر السيارة المعتديه ثم تأتى سيارة الاسعاف وأحمل على محفة بيضاء أنظر فأرانى نائمة .. أرانى رجلاً نائماً والدماء تغطى وجهى ..

أحد الأشخاص يصرخ فى سائق سيارة الإسعاف "أسرع لا يزال على قيد الحياة" .. فيقترب شخصاَ أخر ليزيحه من طريقه ثم يطبق على نفسي فأشعر بالإختناق وأستيقظ صارخة .

ظللت طيلة اليوم أحاول أن أجد تفسيراَ لذلك الحلم حتى نمت ثانية فإستيقظت متأخرة .

إرتديت الروب فوق بيجامتى وخرجت من حجرتى فوجدت حماتى تتحدث مع عم سيد .. عم سيد السائق الخاص بالدكتور راضى والد زوجى والذى ورثته حماتى كما ورثت كل شيئ عن زوجها الراحل .

كانت حماتى تصر على إرتداءه يونيفورم خاص به للمحافظة على الوجاهة الإجتماعية .. وجدتها تناقشة ..

فإلتفت إلىّ يسألنى ما رأيك يا دكتوره ؟؟

لم أكن أستمع لحوارهم ولم أهتم بالرد عليه أو حتى معرفة فيما يتحدثان ..

نظرت لحماتى المتصابيه .. فهى تصر على صبغ شعرها باللون الذهبي وإرتداء الملابس الأنيقة وتهتم بالسواريهات العارية ..

حتى أنها تشترى كل عام ثياباً لركوب الخيل .. رغم أننا لا نمتلك أى خيل !

ورغم أنها هى وهانى إبنها وزوجها الراحل لم يركبوا أى حصان طيلة عمرهم .. هذه الثياب ترتديها الأسرة فقط لإلتقاط الصور بها ولتضعها فى ألبوم العام . فللأسرة ألبوم كبير لكل عام يوضع فى المكتبة ولا يصح إطلاقا أن تلتقط لهم الصور بنفس ملابس العام الماضي .

عاد عم سيد ينظر لى بإشفاق قائلاً :

- يا دكتورة.

لكن حماتى نظرت إلىّ ثم قالت :

-الدكتورة لا تشغل بالها بهذه الأشياء .. أنا هنا الكل فى الكل الرأى رأيى والمشورة مشورتى.

موقف كهذا كان كفيلاً بإغضاب أى زوجة , فالمشكلة الأساسية بين كل زوجة تعيش مع حماتها فى نفس البيت

هى من منهما سيدة البيت ؟ ..

لكنى تركت كل تلك الأمور وتركت حماتى والسائق . ودخلت حجرة البنات فلم أجدهم ..

كانت حجرتهم مرتبة ونظيفة وصورهم وألعابهم موزعة بتنسيق جميل.

إنتقلت لحجرة اللعب الملحقة بحجرتهم فلم أجدهم أيضاً ..

ناديت على المربية وسألتها :

- يا سهام أين البنات ؟

- البنات طلعوارحلة يا دكتورة .

- رحلة ؟ ولماذا لم يخبرنى أحد

رفعت المربية كتفيها فخرجت لحماتى ..

- كيف ذهبت البنات رحلة دون علمى؟

- أخفضى صوتك وإهدأى لماذا الصوت العالى , بناتك طلعوا رحلة للقاهرة مع المدرسة.

- ولماذا لم تخبرونى نسيتم أنهم أولا دى أنا حضرتك الشورة شورتك والرأى رأيك لكن بناتى

انهرت ولم أكن أعلم ماذا أقول وبكيت كما لم ابك من قبل

لأول مرة يرتفع صوتى على حماتى فنظرت لى نظرة غاضبة لأنى أحرجتها أمام الخدم فردت ببرود وغطرسة ..

- تمام كل شئ بيمشي تبعا لرأى وأوامرى .

ثم صرفت الخدم وجلست فى غطرسة كريهة واضعة ساق على ساق على المقعد الفوتية المعلق فوقه صورة والدها البيك وجدها الباشا وزوجها الطبيب الذى ظلت تعايره طيلة عمره بأصله المتواضع وأصلها التركى .. حتى كافح وإجتهد طيلة عمره فى جمع الأموال والتجارة فى كل شئ ليكون جديراً بالهانم الأرستقراطية.

لم أهتم بنظراتها المتحدية وغطرستها وتعاليها على الجميع .. لم أهتم بها يوماً فهى تعلم جيداً أن أصلى لا يقل حسباً ونسباً عن أصلها وأننى لا تعنينى هذه الأمور. فلو شئت لملأت حائطاً بأكمله بصور لوزراء وعلماء ولواءات شرطة وجيش جميعهم أقاربي من الدرجة الأولى والثانية لكنى لم أهتم يوماً بتلك الأمور .

أكملت قائلة بعد أن جرعت كوب الماء الموجود أمامي كاملا :

- لكن بناتى .. أنا تركت لحضرتك إدارة البيت , حضرتك المسئولة عن كل شئ

وليس لي أي حق في أختيار نوع ألأكل , ولا من حقى توجيه أى أمر لأقل شغاله فى البيت .. حتى غرفة نومى غيرتى السجاد والستائر دون أخذ رأيى ولم ‘أعترض.

قالت بنفاذ صبر

اليست حجرة نوم ابني كما انني أختار دوما الارقى والأجمل

- وأنا جارية اشتريتيها لأبنك , هذه هي حجرتي الخاصة جداً أنا زوجة إبنك ..سيدة هذا البيت .

لم تهتم بصراخى فى وجهها واجهتنى ببرود صامت ونظرات متحدية وإبتسامة سادية.

- هانى يتكلم معك , ويحكى لك ويأخذ رأيك , وكأنى لا وجود لي .

ردت قائلة بحدة :

- إنت السبب .. أنسيت كيف تزوجته لم ينس أبدا رفضك له وتفضيل ذلك الحقير عليه

بدأ الضباب يسيطر على عقلي فسألتها بصوت واهن ..

- أنا .. متى .. عن أي شئ تتحدثين؟

لم أكن أتذكر عما تتحدث لكنى لم يكن يهمنى هانى ولا فيما يفكر ولم أهتم يوماً إن تحدث معى أو غاب عنى فعدت لموضوعى وما يهمنى هو بناتى .

- لكن البنات لماذا تصرين علي ابعادي عنهم ؟.

- من أجل مصلحتهم .

صرخت قائلة كيف كيف يكون بعد أمهم عنهم لصالحهم

- إنت مريضه نفسياً وهانى يحاول معالجتك دون فائدة .. أنت تائهة مشتتة تنامين طيلة يومك .

ثم أكملت قائلة بنعومة الحية ..

- صحيح بناتك إنت لكنهم يحتاجون أم ترعاهم , وهذا بيتك صحيح لكنه يحتاج ربة بيت زوجة ترعاه وترعي زوجك وشئونه , المفروض تحمدى ربنا إنك وجدت من يتطوع وينوب عنك ويتحمل كل مسئولياتك .

صحتي؟!

دخل عم سيد مسرعاً ..

- يا هانم عطوة التمرجى علي الباب يسأل عن الدكتور هانى .
دخل عطوة لاهثا وقال وهو يتلفت يمنة ويسرة ليملأ عينيه من مناظر الفخامة والأبهة التى حوله

_وقعت حادثة كبيرة على الطريق الزراعي

قالت دولت هانم:

- الدكتور هانى مسافر .

قلت بسرعة كغريق القىّ إليه طوق النجاة

- إنتظروني سأتي معكم.

قالت دولت هانم باستنكار

إلي أين؟؟

- إلي المستشفى أنسيت أني أعمل طبيبة فى المستشفى؟

إلتفتت دولت هانم لعم سيد :

- روح انت يا سيد .

انتظر يا عم سيد

- أجننت و أرواح الناس كيف تكونين مسئولة عنها !!

- إيه يا هانم... حضرتك غاضبة لأنك لن تستطيعي أن تحلي محلي هناك

دخلت حجرتى غاضبة وإرتديت تايير أسود اللون لم تختره لى حماتى .. سأتخلص من كل مظاهر تحكمها فى حياتى ..

خرجت لعم سيد وركبت السيارة وكان عطوة بالمقعد الأمامي عندما دخلنا المستشفى , كان منظر البلاط المغطى بالدماء يذكرنى بحلم الليلة الماضية فإنتابتنى رعدة شديدة .

إحدى السيدات كانت تفترش الارض عندما رأتنى إندفعت ناحيتى , قبلت يدى ..

- إبنى يا دكتووورة , أبوس إيدك تنقذيه .

أبعدها عم سيد عنى , كنت فى حالة من الذهول أسعفتنى عفاف الممرضة وصديقتى منذ الطفولة

- عربية بيجو كان فيها أسرة كاملة خبطت فى العربية النص نقل اللى بيسوقها إبن الست دى

- حالته إيه ؟

- مات .

وسواق البيجو مات هو وزوجته وصلوا لنا ميتين , الباقى الأطفال ولد وبنتين الولد وقف ورا والده وغمى عينيه فخبط فى العربية التانيه ..

- والاطفال ؟

- جراحهم خفيفة .. كام غرزة .

دكتور نادر فى العمليات بيـ ...

لم أسمع تكملة كلامها .. دخلت لأنظر إلى الجثث الممدة أمامى , دخلت المشرحه كثيراً لكنى اليوم أرانى أنا الممدة على السرير , وأرانى غارقة فى دمائى .. عاودتنى الرعدة فسقطت مغشياً عليّ .

أسعفتنى عفاف واستدعت دكتور نادر , إستيقظت فرأيته بجانبي مبتسماً

- أتخضينا عليك يا دكتورة , ؟ أول مرة تشوفى جثث ؟

خرج صوتي ضعيفا

- أنا دخت فجأة؟

نظرت لى عفاف وقالت بحزن:

- أول ما شافت الجثث وقعت .

- لا لا يا عفاف أنا كنت مرهقه .

- اتركينا قليلا يا عفاف .

- حاضر يا دكتور .

- مالك يا هند ؟

- مالي أنا بخير ؟!

- لا أنت تايهة وضايعة وعايشة على المهدئات مستحيل دكتور هاني يكون هو من وصف لك هذه الأدوية

- مهدئات !

- قبل وصولي أحضر لك السائق العلاج من البيت ونظر إلي كيس موجود علي المنضدة .

- هذاالدوا ء قادر علي تدمير جهازك ألعصبي إنت بتنتحرى ..

أنا كما تري أشعر بالضياع لا أذكر شئ واهنة ومشتتة

لازمك راحة وانا كتبت لك مجموعة من الأدوية وترمى الكيس ده تماماً إلا لو كنت تريدين الإنضمام لسكان السرايا الصفرا . لازم تخرجى وتغيرى جو , سافرى يا هند .

عندما وجدنى صامته خرج وأرسل لى عفاف .

- أنظرى يا هند أنا ولن أقول يا دكتوره أنا زميلة دراستك وإنت تعلمين مقدار حبي لك إنى أحبك وأخاف عليك , أهتمي بنفسك .. الجميع يعلمون إن دكتور هانى يكرهك بسبب ما حدث فى الماضي.

ويعلمون أنه يخونك , وممكن يكون يحاول قتلك بهذاالدواء .

- كنت أشعر بالإختناق واتنفس بصعوبة قلت لها بوهن

ماذا عملت فيه زمان ؟ تكلمى كل الناس يحدثونى عن زمان أنا لا اذكرأي شئ .لست فاقدة للذاكرة أعلم من أنا وأين أنا وأعرف اسماء كل الأشخاص المحيطون بي ولكن كل ذكرياتى مشوشة مضطربة

نظرت لى بإستغراب :

- معقول نسيتى !

- أنا ناسية كل شئ لا أذكر طفولتى ولا أذكرك , كل شئ , عمرى كله سقط من ذاكرتى .

انتفضت عفاف فجأة قائلة

- هذا صوت دكتور هاني .. أرجوك لا تقولى له أني أخبرتك بأي شيئ ممكن يخرب بيتى أنا ممرضة مسكينة.

أمسكت يدها :

- عفاف تكلمى يا عفاف أحكى لى من أنا .

دخل هانى للحجرة بوجه جامد يخلو من أى تعبير وخلفه إثنين من الممرضين , لم يكلمنى , حملنى الممرض ووضعنى على النقاله وتم حملى للسيارة ومنها للبيت .حاولت أن أتحدث لكنه أوقفني بإشارة صارمة من يده

قال بغضب :

- هذه أْخر مره ستدخلى فيها المستشفى أنت فاهمه .. إنت مريضه محتاجه للعلاج .

- إنت من يريدني أن أظل مريضة , نفسي أعرف لماذا تكرهنى ؟

غرز حقنة فى يدى فشعرت بالمخدر يسرى فى جسدى ثم فجأة نزل على وجهي غطاء من الجليد وأكتملت حالة الغيبوبة العقلية , فلم أعد أدرى من أنا , جلست فى فراشي بقية النهار غير قادرة على الحركة .

الفصل الثانى

مرحلة الشتات

عندما عادت الفتيات من الرحلة لم أتحرك لرؤيتهم .. نادتنى حماتى بسخرية ..

- بناتك عادوا من رحلتهم يا ست الدكتورة .. المربيه بتشطفهم وهتجيبهم لك .

نعم فلتحضرهم لى لأنى غير قادرة على الحركة حتى وجهى غير قادر على رسم أى تعبير .

سمعت ايمى تقول عايزة أنام , أما دنيا فقد دخلت حجرتى فقبلتنى فى خدى ثم جرت ناحية حماتى وارتمت فى أحضانها وبدأت تحكى لها ما حدث معها طيلة النهار , لم أشعر بأى غضب ولا ألم لكنى حمدت الله بداخلى على عودتهم سالمين .

صباح اليوم التالى إستيقظت مبكره حتى أكون مع بناتى قبل ذهابهم للمدرسة , قاومت المخدر الذى ينتشر فى جسدى كله .

الساعة السابعة لم أتأخر كثيراً , سأجهز لهم طعام الإفطار وأمشط شعر دنيا الطويل .. إنتابتنى مشاعر سعيدة فلم يضع عمرى هدر .. رزقنى الله بفتاتين جميلتين.

دخلت المطبخ فنظرت لى فاطمة الشغالة باستغراب ..

- مالك يا فاطمة ! ضعى اللبن على النار واسلقى البيض .

- أنتظري .. اعطني اللبن وناوليني بيضتين و حبز التوست هعمل للبنات حاجه حلوة .

لم ترد فاطمة ولم تتحرك من مكانها ..

- إنت يا فاطمة .. إيه مالك ؟

ردت زينب :

- لمؤاخذة يا دكتورة أصل دى أول مرة تدخلى المطبخ .

ثم أحضرت لى ما طلبته من فاطمة .. قمت بضرب البيض مع اللبن والسكر ثم وضعت به التوست .

- ولن تكون الاخيرة يا زينب .

- أحضر لحضرتك الدواء يا دكتورة .

- لا يا فاطمة .

ثم تناولت قطعة خبز ووضعت بداخلها شريحة جبنة رومى وبدأت فى تناولها .. كنت أشعر بالجوع الشديد حتى أنى التهمتها فى أربع قضمات وأنا أتحدث مع فاطمة .

- يبدوا أن الدواء الذي وصفه لى دكتور نادر سيفيدني برغم جفاف ريقى وعندى صداع جامد وجسمى كله متخدر .

- جهزى لى طاسه وزبده وتابعى البيض واللبن .

فاطمة :

- لكن يا دكتورة .

- إعملى كل ما طلبته يا زينب .

وإنت يا فاطمة تعالى معي بعد البنات ما يروحوا المدرسة .. الأوضة الفاضيه بتاعة اللعب ضعي لى فيها سرير ومكتب ودولاب صغير أريد أن أكون دائماً بجانبهم .

تحركت وفاطمة تتبعنى حتى دخلت حجرة البنات لكن صدمتى كانت كبيره .. كانت العنقاء معهم .. أقصد جدتهم .. تحكى لهم حكاية لم أعيرها إهتمام حتى لم القى عليها تحية الصباح .

توجهت بابتسامة كبيرة لبناتى ..

- يلا يا بنات صباح الخير يا حبيباتى نصحى علشان المدرسة .

فين سهام المربية ناديها يا فاطمة أكيد هى لسه نايمة صحيها .

نظرت حماتى لى ببرود وقالت :

- وإيه كمان ؟

دخلت سهام مسرعة :

- خير يا دكتورة في إيه ؟

- فى إيه إيه البنات دول مش وراهم مدرسة كلنا صاحيين وحضرتك نايمة يلا خديهم وجهزيهم .

بدأت حماتى تضحك بصوت مرتفع وشاركتها فاطمة الضحك وانطلقت دنيا تضحك معهم ..

أما سهام فقد نظرت لى باشفاق وقالت :

- يظهر حضرتك تعبانة يا دكتورة إتفضلى معايا أوصلك أوضتك .

- والبنات ؟ والمدرسة ؟

إستمرت حماتى تضحك أما أنا فبدأت أشعر بالدوار .. أمسكت بالباب بكلتا يداى .

- فى إيه هو النهارده الجمعة ؟ مش إمبارح كان التلات والبنات كانوا فى رحلة ؟

قالت سهام :

- فعلاً يا دكتورة .

- طيب يبقي النهارده الأربع وعندهم مدرسة .

قالت سهام :

- صح يا دكتورة لكن هما راحوا المدرسة .

صرخت حماتى بتشفى ..

- بناتك راحوا المدرسة ورجعوا واتغدوا وجالهم مدرس البيانو ومدرسة الماس وبعد كدا اتعشوا وحكيت لهم حدوته علشان يناموا .

إنتى عارفه الساعه كام يا هانم ! الساعة.. ونظرت فى ساعة يدها ثم قالت الساعة تمانية إلا ربع بس بالليل إنتى نمتى عشرين ساعة .

إفتكرتى إنك أم وقايمة تفطرى بناتك وتجهزيهم للمدرسة طيب والله كويس .

دخل هانى من الباب ونظر ناحيتى ببرود ثم قبل يد والدته وخدها وسألها :

- إيه الأخبار ؟

- كله تمام يا حبيبي .

- الدكتورة خدت علاجها .

- لا الدكتورة لسه صاحية .. لا خدت علاج ولا كلت اى شئ من إمبارح .

- خدوها خلوها ترتاح .. عشيها يا فاطمة وإديها الدوا إحنا مش ناقصين مشاكل .

- عندك حق يا ابنى إحنا مش ناقصين جنان .

دخلت حجرة البنات وتمددت بجانب دنيا فقامت واحتضنتنى :

- متعيطيش يا مامى بكره تخفى وتبقي كويسة .

- لكن أنا مش عيانة يا حبيبتى .

قالت ايمى :

- لا يا ماما تيتة قالت إنك عيانة وسمعتها بتقول لتيتة شريفة صحبتها إنك مجنونة وبابا هيوديكى مستشفى المجانين .

- أنا مجنونة .!

إحتضنتنى البنات وقلن :

- لا يا مامى إنتى مش مجنونة .

فتحت سهام الباب وقالت هامسة :

- من فضلك يا دكتورة تتفضلى تروحى أوضتك علشان محدش فيهم يكلمنى .

ساعدتنى حتى أستطيع السير وقلت لها خليكى مع البنات يا سهام وخللى بالك منهم , التفت للبنات والقيت لهم قبلة على الهوا وسرت مترنحة حتى وصلت حجرتى .

كان هانى يقف أمام الدولاب يغير ملابسه .. إستمر فى خلع الكرافت والنظارة وكأنه لا يرانى .

تمددت فى فراشي , خرج هانى من الحجرة ثم عاد وفى يده إبره كبيرة ثم قام بدفع ذلك السائل الأصفر فى وريدى .

قررت أن أغير حياتى من الغد , سأخرج من البيت ولكن إلى أين ؟

بدأ جفناى يتثاقلان ثم بدأت أرانى ميتة .. الغريبة أننى أعلم أنى أحلم وأن نفس الحلم يتكرر لكن مهلاً لم أكن أنا نفس الشخص الراقد إنه رجل .. رجل فى نهاية العقد الثالث من عمره .. شخص وسيم جداً.. ملامحه مألوفة لى ..

دخلت حماتى الحجرة ووراءها هانى ثم أخرجونى .. حتى فى الاحلام لا يتركانى أهنأ

مؤكد أن ما أشعر به وما أراه هلاوس ربما أكون مجنونة فعلاً كما يقولون .. لكن من هذا الشخص .. وأين ذهبت ذاكرتى ؟

عندما إستيقظت فى اليوم التالى خرجت من البيت دون أن يرانى أحد وبدأت أسير فى الشوارع ..

حرصت على إرتداء ملابس لائقة حتى لا يظوننى مجنونة .ويبدأ الأطفال بقذفى بالطوب .

حملتنى قدماى حتى دخلت إحدى الحدائق .. ذاكرتى ضبابية أتذكر أشياء ولكن كل افكارى وذكرياتى باهتة ومشوشة

جاء أبي سريعاً وعندما رأنى نادانى بصوت مرتفع :

- هند اقفى مش قادرأجرى وراكى

مالك يا بنتى ؟

- أنا عارفه المكان ده يا بابا .

- دى أرضنا يا بنتى .. الجنينة دى بتاعتنا وهناك كان بيت جدك القديم اللى كنتوا بتلعبوا فيه وانتم صغيرين .

- مش فاكره الحاجات دى خالص .

- تعالى معايا هنروح البيت عندنا أمك هتفرح بيكى .

- سرت مع والدى حتى وصلنا البيت فـ إحتضنتنى أمى وأجلستنى بجانبها وقالت ودموعها تنهمر مالك يا هند ؟

لم أرد عليها فقالت مخاطبة أبي :

- البنت حالتها من سئ إلى أسوأ .

كان أبي يتحدث فى الهاتف ..

إستمع لمحدثه على الطرف الأخر قليلاً ثم قال :

- أيوا يا هانى يا ابنى

أنا حبيت اطمنك إنها عندى .

- ...

- خليها عندى لحد أعصابها ما تهدى .

- ...

- أيوا يا دولت هانم إبعتى هدومها والعلاج بتاعها والبنات .

- ...

- طيب طيب .. لكن من وقت للتانى خللى البنات ييجوا نشوفهم .

ثم وضع السماعة .

- تصورى قفلت السكة فى وشي .

- إنت السبب . إنت إللى رميت بنتك الرمية دى .. الهانم فاكرة إنها أحسن مننا .. نسيت أصلها بنت ..... .

- خلاص يا سميحة .. هى مش ناقصة .

- ماما أنا مش عايزة الحاجات اللى هيبعتوها .. الهدوم دى مبحبهاش .. دولت إللى مختاراهم . وبدأت فى تمزيق ثيابى ..

- حتى شعرى هى إللى بتصمم تقصهولى والخصلات الملونة دى .. كنت أشد شعرى وأمى تبكى وتحضننى

- خلاص يا بنتى هنروح نشترى لك اللبس اللى تحبيه وشعرك مش هتقصيه تانى .

- والدوا كمان يا ماما هانى بيدينى دوا علشان تيجي لى هلاوس .. أنا مش هاخد الدوا تانى .. هانى بيخونى وعايزنى أموت .

- من بكرا يا حبيبتى نعرضك على أحسن الدكاتره ونطمن عليكى ..

ضمنى أبي بشدة وقام بحملى ..

- بابا نزلنى إنت هتتعب كدا .

- أتعب من إيه انت خفيفة زى الريشة . وضعنى أبي فى الفراش .

- بابا لا أنا هخرج أقعد معاكم أنا نمت كتير وعايزة اَكل .

- هعمل لك كل ألأكل اللى بتحبيه يا بنتى .

- إنتى يا حبيبتى إيه إللى حصل لك .

- يعنى إيه ؟

- يعنى إنتى كنت هادية وبتسمعى كلام حماتك وزوجك وبتزورينا .. صحيح مكنتيش سعيدة لكن إيه إللى حصل لك ؟

سمعت أبي يتحدث فى الهاتف ويتفق مع شخص ما أن يزونا .. ثم جاء قائلاً :

- دكتور منصور البرقاوى هييجى عندنا بالليل .. فاكراه يا هند .. ده صديق عمرى عمك منصور ؟

- لا مش فاكره حد .

التفت إلى أمى قائلاً :

- هنوريه الدوا إللى هيبعته هانى وهيعالجها إن شاء الله زى ما عالجها أيام هشام .

استمرت جلسة العلاج مع دكتور منصور أكثر من ساعتين .. حاول بكل طريقة أن يجعلنى أتحدث معه . لكنى كرهته منذ رأيته .. رجل بدين , قصير القامة , أصلع , ملامحه كملامح اللصوص , لم

تعجبنى إبتسامته ,

ظللت صامته وعندما خرج من حجرتى

قال لأبي بصوت مرتفع حرص أن أسمعه ..

- الدكتورة زى الفل , جميلة وهادية , هى بس محتاجة تريح أعصابها , خلوها تخرج وتتفسح , هات لها أصحابها يزوروها وحاولوا تنعشوا ذاكرتها .

ثم خفض صوته ..

- فعلاً الأدوية إللى كانت بتاخدها كان ممكن تجننها , بلاش أى أدوية .

عملاً بنصيحة دكتور منصور تركنى أبي أخرج من البيت أقابل الناس فى الطريق فأسمعهم .. يتغامزون والمح مصمصة الشفاة .. أسمعهم يتحدثون ويحكون فضائح هانى .

بدأت أخرج وأتمشي فى الحقول القريبة من الفيلا التى إنتقلت للعيش فيها مع والدى ووالدتى وكل إسبوع يذهب أبي لبيت هانى ليحضر لى البنات ومربيتهم .

كلما كبرت الفتيات زاد إبتعادهم عنى .. لكننى صممت على عدم العودة لهانى مرة أخرى .

الفصل الثالث

مرحلة الهلاوس

مر عام كامل على مرحلة التيه التى أعانى منها لم تفلح محاولات أمى وأبي فى جعلى أتذكر أى شيئ عن حياتى قبل الزواج وبدأت تنتابنى حالة جديدة من الخلط بين الحقيقة والخيال وبين الواقع والأحلام .

زارتنى عفاف الممرضة أكثر من مرة .. فى البداية كُنت أقابلها ببرود فأنا لا أتذكر طفولتى ولا أتذكر أنى أعرفها من قبل لكنى كنت أشعر بإخلاصها وحبها لى .

كنت أستيقظ لأجد نفس الحلم يتكرر فأهرب إلى حجرة أمى فأجدها تصلى ثم أجلس بجوارها حتى تنتهى من صلاتها .

عندما حكيت لها الحلم كانت عفاف موجودة قالت عفاف محذرة :

- الحلم اللى زى ده متحكيهوش يا هند علشان النبي (صلى الله عليه وسلم)قال الرؤية الصالحة من الله والرؤية السوء من الشيطان فمن رأى منكم رؤية فكره منها شيئاً فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم لا تضره ولا يخبر بها أحدا.. وإن رأى رؤية حسنة فليبشر

ولا يخبر إلا من يحب .

سألتها :

- إنت بتصلى يا عفاف ؟

- الحمد لله .

- إنتى مبتصليش يا هند ؟

- لا مبصليش ولا فاكره أخر مرة صليت فيها أمتى .

- إزاى كده يمكن هو ده إللى مضايقك ومنغص حياتك .

- إللى هو إيه ؟

- ترك الصلاة وترك الذكر دائما بيرافقهم الضنك والهم قال تعالى((ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً)) .. وممكن كمان يكون عندك مس .

- مس يعنى إيه ؟

- بصي متشغليش بالك بس ياريت تتوضي وتصلى وهاتى مصحف إقرى فيه .

ثم خرجت عفاف وسمعتها تحدث أمى فـ سمعت جزء من حديثهم ..

- إسمعى يا طنط لازم تخللى هند تصلى ونشوف شيخ ييجى يقرا لها قرأن وممكن حد يكون عامل لها عمل .

- عمل إيه وسحر إيه يا عفاف !

- السحر مذكور فى القران وهاروت وماروت كانوا بيعلموا الناس السحر .

- لكن متنسيش قوله تعالى وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله .

- صحيح لكن هو القاتل لما بيقتل مهو بيوقع القتل بإذن الله وبيكون القتيل عمره إنتهى لكن ربنا قضي إنه يموت قتيل . وكل شئ فى الحياة بإذن الله .

- أبوها هيرفض إنتى متعرفيش دماغه .

- معلش حاولى تقنعيه وأنا هشوف حد يعالجها بالقرأن .

- دول بيكونوا نصابين ودجالين .

- لا يا طنط هنشوف حد ثقة المهم نقرأ سورة البقرة وتكون دايماً متوضية ومصليه .

خرجت للصالة عندما رأونى غيرت أمى الحديث

- إنتى هتتغدى معانا يا عفاف .

- لا مينفعش أنا عندى شغل أنا لازم أمشى علشان معاد الوردية بتاعتى .

ثم جاءت تقبلنى ..

- إستنى يا عفاف إنت ليه مهتمة بيا أوى كدا وليه بتساعدينى ؟

- لأنى بحبك يا هند انت كنت أطيب بنت فى المدرسة وكنت غنية وجميلة ومتفوقة جداً لكن متواضعة وبتساعدينا كلنا وبتساعدينى أنا بالخصوص .. فاكره لما بابا مات وجيتى تزورينى فى البيت وعرفتى أنى هسيب المدرسة لأن ظروفنا متسمحش إنى أكمل تعليمى .

- لا مش فاكره حاجه نفسي أفتكر .

- هفكرك يا هند يومها رجعتى لى بعد ساعتين واديتنى كل الفلوس اللى فى حصالتك وكان مبلغ كبير فى وقتها واتحايلتى على أمى أنى مسيبش المدرسة وكنتى يومياً بتدينى مصروفك وكمان كنت بتدينى من لبسك وكتبك .

- ده واجب وأنا صحيح مش فاكره لكن إن كنت عملت كده ؟

- عملتى اللى أكتر من كده وأنا منساش إن عمرك محسستينى إنى أقل منك.. وبمصروفك كفلتى أيتام مكنتش بصرف الفلوس وارجع أديهم لأمى وهى تصرفه على البيت (البر لا يبلى والذنب لا ينسي والديان لا يموت) .

جاءت واحتضنتنى :

- أنا مش هسيبك أبداً وهزورك كل يوم لحد ما ترجعى أحسن من الأول .

عندما خرجت عفاف دخلت أتوضا وخرجت للصالة سمعت أمى تحكى لأبي كلام عفاف

قال أبي :

- عفاف مين ؟

- عفاف الممرضة .

قال أبي بإنفعال :

- إنتم وصل بيكم الجهل والتخلف إنكم تسيبوا كلام الدكتور منصور أستاذ الطب النفسي وتمشورا ورا كلام عفاف .

قالت أمى بخوف :

- السحر والحسد مذكورين فى القرآن .

- على عينى وعلى راسي القرآن , لكن ده كلام إحنا منفهموش ..هى تصلى وتقرأ قرآن أنا موافق على كده لكن شيخ ييجى يبتزنا ويقرفنا لا مستحيل .

نظرت إليهم وكأنهم يقررون مصير شخصاً أخر غيرى وكأن الأمر لا يعنينى ..

دخلت حجرتى وفتحت المصحف ثم شعرت برغبة شديدة فى النوم فنمت ولم أصلى أو حتى اقرأ سورة البقرة ثم إستيقظت وفتحت النافذة فرأيت ظهر رجل يرتدى قميص أسود وبنطلون أسود يجلس فى الحديقة .

خرجت للحديقة فلم أجده .. خرجت من الحديقة وسرت على الطريق ثم لمحته من بعيد فسرت خلفه كمسحوره ولا أعلم لماذا حملتنى قدماى على السير خلفه .؟

وجدت سيدة مسنة تقف فى شرفة منزلها تنظر ناحيتى وتبتسم .. نادتنى "يا هند استنى .." خرجت من بيتها ووقفت أمامى أحتضنتنى بحب

- أنتى وحشتينى أوى بقالى سنين مشفتكيش ..

مالك مبترديش ليه إنت مش فاكرانى .

نظرت لها أنا أعرفها جيدا لكن لا أعلم من هى بدأت بعض الذكريات تتكون فى مخيلتى .

دخلت البيت فدخلت خلفى ..

- أنا فاكراكى وفاكرة البيت ده .

فتحت باب أحدى الغرف ودخلت .. كنت بلعب وأنا صغيرة هنا . رفعت ملاءة الفراش .. واستخبيت تحت السرير ده أنا وهو علشان

شريف ميمسكناش .

- هو مين يا هند ؟

- مش فاكره إسمه .. ولد صغير قد كده وأشرت لكتفى هو كان أكبر وأطول منى كان قد شريف أخويا .

- هو هشام إبنى يا هند ادعى له يرجع بالسلامة .

تركتها وخرجت من الباب إستوقفتنى .. متنسيش تبقي تيجى تزورينى .

- هجيلك بس إعملى لى بسكوت من اللى كنت بتعمليه زمان .

- من عينيه يا حبيبتى .

عندما تركتها كنت سعيدة أنى تذكرت بعض ملامح طفولتي لكن بقيت صورة ذلك الولد باهته فى ذاكرتى ليتنى أتذكره .. رأيت الشخص الذى إتبعه وكأنه يراقبنى ينظر ناحيتى حتى أراه وأتبعه , خفت منه فعدت إلى البيت .

وجدت أمى تنتظرنى فى شرفة البيت

- رحتى فين يا هند من غير ما تقولى ؟

- ماما هو مين هشام ؟ ردت بخوف

- هشام مين ؟

- هشام الولد الصغير اللى كنت بلعب معاه أنا وشريف واحنا لسه صغيرين .

- مفيش حد أسمه هشام كان بيلعب معاكم .

- لا أنا قابلت مامته ودخلت بيتهم وإفتكرت لما كنا بنلعب أستغماية ولما كانت مامته بتعمل لى بسكوت .

- هى سميرة رجعت ؟!

- رجعت منين , هو حضرتك تعرفيها يا ماما ؟ طيب ليه قلتى إن مفيش حد أسمه هشام ؟

خرج أبى من حجرته وإقترب منى قائلاً :

- لأن هشام مات وهو صغير مات وانتم صغيرين .

- مات .. أيوه يبقي يا بابا علشان كدا مكنتش فاكراه .

- تمام يا هند هو مات وإنتى كنتى صغيرة أوى .

إنهالت الدموع من عينى وبدأت أبكى بصوت مرتفع كالأطفال ..

- مات هشام مات ؟

ولم أكن أعلم من منا الذى مات هل أنا ألتى ماتت أم هو .؟

صباح اليوم التالى دخلت بيت سميرة دون إستئذان فقد كان الباب الأمامى مفتوحاً .

خرجت للصالة عندما رأتنى ملأت الابتسامة وجهها وقالت :

- إنتى جيتى يا غالية ؟

- انت طيبة أوى يا طنط .

- أنا بحبك يا هند لإنك من ريحة الغالى .

- مين الغالى ده ؟

- هشام إبنى .

- الله يرحمه .

إنتابها الفزع وصرخت :

- هشام عايش حرام تفولى عليه ..

- بابا قالى إنه مات من واحنا صغيرين .

- لا إبنى عايش غصب عن أبوكى .. أبوكى قتله لكن هو عايش .

- قتله ازاى ؟

جلست على أقرب مقعد لها فى تهالك وظلت تبكى وتردد :

- يا حبيبي يا ابنى كلكم ظلمتوه وقتلتوه ..

تركتها وخرجت فوجدت أبى أمام بيتها .. أخذنى من يدى وسرت خلفه عائده الى البيت دون أن نتبادل أى كلمه .

إستمر ت حياتى كما هى حتى زادت الهلاوس والتخيلات لدرجة أننى أصبحت لا أستطيع التأكد إن كان ما أراه حقيقة أم خيال .

خرجت يوماً من البيت فى الصباح الباكر .. تمشيت على الطريق القديم , فجأة هطل المطر , رأيت أمامى كوخاً , ذهبت إليه ووجدته فارغ , فإختبات بداخله ...

وجلست قرب النافذة مسندة رأسى إليها لأرقب المطر الذى ينهمر بنعومة .. شعرت لأول مرة بصفاء الذهن الذى منحنى الفرصة للتفكير فى حياتى .. كانت قطرات المطر كمغفرة نزلت من السماء لتغسل روحى .

طيلة عمرى لا أجيد الثرثرة ..كنت أشعر دوماً بالخجل وأرى كلماتى باهتة , لذا أحببت العزلة وبدأت تكوين أفكار مختلفة عن كل شئ ..

أعجبتنى مقولة (إبن عطاء الله السكندرى)

"ما نَفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة "

كانت أمي تحتفظ بلوحة زيتية رسمها جدى .. كانت اللوحة قديمة جداً قد بهتت ألوانها ..

كنت أشبه هذه اللوحة ، ألوانى باهتة ..

أنا فى خريف عمرى الآن .. خريف بائس لإمرأة فى الثلاثينيات ولكنى أشعر أنى قد تجاوزت الستين , كانت أمي وحماتي يكبرننى بثلاثين عاماً ولكنهما كانتا أكثر منى شباباً وحيوية وإقبالا على الحياة , حتى عندما أتأمل وجهى فى المرآة أراه كوجه مريض فى دور النقاهة .

قضيت العمر فى تلقى العلم وحشو رأسي به , كانت الكتب كل

حياتى , وعندما أردت تغيير تلك الحياة وإضفاء اللمسات الإنسانية إليها عوقبت بالحرمان ممن أحب ..

رأيت عصفورين يختبآن أيضاً من المطر , كانا ينظر أحدهما إلى الأخر في صمت وحنو , كأنهما عاشقان بينهما لغة راقية لا نعرفها نحن .. فحسدتهما على حبهما .

بعد قليل دخل رجل إلى الكوخ يحمل حقيبة على كتفه , كان مبتلاً من المطر, ألقى حمله جانبا وأخرج من حقيبته طعاماً وجلس يتناوله في صمت ..

ثم تمدد على الأرض .. كان طويل القامة يرتدى جاكيت وبنطلون من الجينز، لم المح وجهه فى الضوء الضعيف ..

كنت أرتجف .. أخاف أن يراني .. حتى إنتظمت أنفاسه , فعرفت أنه راح في النوم ، إنتظرت حتى أتأكد من نومه ثم أخرج من الكوخ ..

شعرت بحركة خلفي .. إلتفت فرأيت فأراً يخرج من جحره , كان الفأر جائعاً مثلى وقد جذبته رائحة الطعام ، عندما إقترب الفأر صرخت ..

جاءالرجل ناحيتي وسألني ...

- من أنت ؟!

قلت وأنا مرتعبه ..

- الفأر .. أقصد المطر .. إختبات من المطر ورأيت الفأر .

- ولماذا لم تخبريني بوجودك هنا ؟

- خشيت أن ...

لم أكمل جملتي, رأى الهلع والخوف والخجل يسيطران على ثم بكيت ..

قال بشفقة وحنو:-

- لا بأس .. لا بأس مرحباً بك .

- الآن إنتهى المطر أريد أن أمشي .

- كل الطرقات مبتلة وقد دخل الليل وحل الظلام .. يمكنك قضاء الليل هنا وأنا سأبحث عن مكان أخر أقضي به الليل .

- هل هذا الكوخ هو بيتك ؟

- إن بيتي في القرية , لكنى أحيانا أبيت هنا عندما يدخل الليل وأنا أصطاد , أنت جائعه أليس كذلك ؟

قلت :..

- نعم فقد خرجت من الصباح هائمةً على وجهي لا أعلم إلى أين أذهب .

- إنتظري سأشعل ناراً ..

أخرج سمكة من حقيبة الصيد وقام بشيها على النار ..

كانت ملامحه غاضبة وحزينة ، شعرت أنه شخص وحيد .. شخص يتألم !

قدم لى الطعام ..

تناولت طعاماً شهياً لم أذق مثلهُ قط

- لم تسألنى من أنا ؟

- هذا لأنى أعرفك جيداً.. وهل مثلك يخفى على يا دكتورة ؟

ثم سرح ومد بصره كأنما يخترق به حجب الماضى ,,

- أعرفك منذ طفولتك .. كنت صديق شريف .. آخيكى

- شريف .. أخى ؟

عبثاً حاولت إستدعاء ملامح شريف فى طفولته ولم أستطع تذكر ملامح هذا الرجل .

فقلت بشرود ..

- لا أذكر أنى رأيتك من قبل !

نظر لى نظرة حزينة وقال ..

- لكننى رأيتك يا هند بل ولم أرَ غيرك .

سرت قشعريرة فى جسدى .. أنا أعرف هاتين العينين .

هاتان العينان كانتا كدوامتين أغرق فيهما ..

كنت أرتعد فقد شعرت بشىء غريب ,, خوف وحب ورهبة .

دندن قائلا :-

" أعطنى حريتى أطلق يديا .. إننى أعطيت مااستبقيت شيئا ,,

آه من قيدك أدمى معصمى لمَأ أبقيه وما أبقي عليا "

كانت تلك الدموع التى تسقط من عينيه تقطع نياط قلبي ,

أردت أن أقترب منه وأحتضنه لا أعلم لمَ نزلت دموعى أنا أيضاً ..

كنت أظن دموعى قد جفت , بكيت وإرتعدت , فأقبل ناحيتى وجلس بالقرب منى .. فمددت يدى لأمسح دموعه كان وجهه بارد ..

مسح دموعه وقال :

- عندما عدت من السفر علمت أن شريف هاجر إلى أمريكا وأنك تزوجت ورزقت بفتاتين رائعتين ..

لا أعلم لماذا شعرت أنه يتحدث عن إنسانة أخرى

- أنا هشام .. ألا تذكرينني ؟

كنت أذاكر مع شريف دائماً فى بيتكم وأنت صغيرة وبعد تخرجي من الجامعة عملت محاسباً فى شركة بترول في الخليج لأكثر من

عشرين عاماً .. وعند عودتي .

رأيت كل شيء تغير من حولي .

عندما كنت أتأمل ملامح هشام أشعر أنى أعرفه ولا أعلم أين أو متى رأيته ! منذ فترة طويله أعانى من فقدان للذاكرة وفقدان للتركيز .. قال لي دكتور نادر ..

- أنت كطبيبة لا تستطيعين معالجة نفسك ..

قلبك ملىء بجروح كثيرة .

كان كل ما وصفه لي مهدئاً ..

سألته : - هل ما أعانيه أل زهيمر؟

قال : - لا مريض الزهايمر لا يعلم أنه مريض .

- ولكن من أين أتتنى هذه الجروح !

وُلدت في بيت تملؤه السعادة والحب ..

أهلى ميسورون مادياً .

جمالي من النوع الهادئ الذي تستريح له العين , كنت متفوقة جداً والأولى دائماً على المدرسة .. لم يقبل أبى منى إلا المركز الأول ..

سألنى هشام ..

- لماذا أنت شاردة هكذا ؟

ولماذا خرجت من البيت ؟

هل يبحثون عنك الآن ؟

لم أرد عليه .. ليست أول مره أخرج من البيت وأهيم على وجهي .

قال لي زوجي :

ـ قد تتعرضين للاكتئاب

إذا استمرت حالتك هكذا .

كانت نصيحة الأطباء لي هي السفر ..

كنت أستعرض حالتي ، فأنا زوجة ولست زوجة

زوجي يعمل أكثر من ست عشرة ساعة يومياً ولا يعود للبيت إلا لتناول الطعام والنوم ..

كل أحاديثنا ومشاريعنا مؤجلة ..

لم يحبني يوماً ..

لا ينظر لي , حتى أشعر أنه لايرانى , يناديني أحياناً بإسم حبيبته الأولى ..

حتى لحظاتنا معاً كانت تؤلمنى .. كان يغمض عينه وهو معى .. كنت واثقة أنه يغمضهما حتى يتخيلها هى معه

حبيبته الأولى التى فرقت الأيام بينهما ..

لم يكن ذنبها ولا ذنبه وليس ذنبي أنا أيضاً ,

حتى عندما ينظر إلىَ أشعر أنه ينظر إلى الفراغ ، تتمدد ملامحي في عينيه , أتبعثر مع دخان سيجارته , أذوب مع السكر في كوب الشاي ..

حاولت وبكل الطرق أن أجعله يحبني

لكن كيف ؟! وأنا لم أحبه يوماً ..

لكن بناتى هن من جعلنني أستمر , جعلننى أظل أركب هذه السفينة المتهالكة , والتى تشق طريقها بإرتجالية وعفوية متناهيه ..

سفينة حياتى دفتها دائما ليست بيدى ..

كانت الدفة فى الماضى بيد أبى , ثم انتقلت ليد حماتى .. نعم حماتى ..

فزوجى ليس له وجود .. كان زواجه بى كقدر ليس هناك منه بُدّ .

وجه أبى الدفة ناحية العلم , لابد أن تكونى طبيبة , لابد من النجاح والتفوق .

أنا كنت أجد نفسي فى هذا المجال , كنت أحلم دوماً أن أكون طبيبة وأعالج المرضى ,

لذلك لم تتعارض إرادتى مع إرادة ربان السفينة "أبى"

لكنها تعارضت عندما أحببت وأردت الزواج ممن أحب ،

كنت أحب هشام رجل أحلامى , كان هناك دوماً يعزف على أوتار قلبي ,

كنا نأتى هنا , نعم إلى هذا الكوخ أنا وهو وأخى شريف ..

كان شريف دائم اللوم والإنتقاد لى ..

أما هشام فكانت نظراته تحيينى .. كانت رجولته مفرطة .

رسم الرومان صورة للمرأة المثالية "أفروديت & فينوس"

أعتقد أنهم لو رأوا هشام لجعلوه رمزا للرجولة , ولصنعوا له التماثيل ..

كان عنقه دوماً مشرئب غروراً وذكاءً وثقةً , أراه فى أبيات الأمير عبد الله الفيصل التى غنتها أم كلثوم .. وجدت نفسي أرددها ..

"يا فاتناً لولاه ما هزنى وجدً ولا طعم الهوى طاب لى"

أكمل معى قائلاً :-

"هذا فؤادى فإمتلك أمره واظلمه إن أحببت أو فإعدلِ"

كنت كفراشة حائرة تدنو منه .. كانت رسل الشوق دوماً بيننا لاتنقطع .

أتمنى أن يكون هشام زوجى وأبى وأخى وإبنى .

أتمنى أن يكون كل الرجال فى حياتى .. كنت أرى وجهه دائماً ..

حتى بناتى لا أعلم عنهن شيئا , قامت حماتي بتربيتهن والإستحواذ عليهن ..

في البداية حتى أتفرغ لدراستي وعملي ..

وعندما كبرت الفتاتان شعرت أننى غريبة عنهما تماماً فأمهم هي جدتهم ..

كان هشام يحدثني ولا أسمع شيئا مما يقول هل أصبت بالصمم ؟!

فجأة تنبهت إلى يده التي لمست وجنتى .. نظرت له مندهشة !

إعتذر قائلاً :

- سامحيني ..

صفعتك حتى تخرجي من شرودك .

هل صفعني حقا ؟! لم أشعر إلا بيده تلمس وجنتى !

- لماذا كل هذا الحزن ؟ لا تستسلمي لزوجك وأهلك أتركيهم وإذهبي للبعثة .. وهناك ستجددى حياتك , لا أحد هنا يحتاجك أو يهتم لأمرك .

كيف عرفت كل هذا ! كيف عرفت بأمر البعثة ! لم يرى أحد الرسالة التي جاءتني وأخفيتها عنهم , ولن يعترض أحد على ذهابي أعلم ذلك , ولكنى أخاف الإخفاق .

هناك خيوط حريرية تكبلني وتشدني للأرض ..

أبى وأمى وزوجي سيكونون فخورون بي وببعثتي , فهم يشجعوني دوماً على التفوق ولم يكن كل أملهم أن أظل مجرد طبيبة في وحدة صحية ريفية .

- نعم معك حق يا هشام .

- لا زلتِ لا تتذكرين من أنا ؟

عادت لى ذاكرتى الأن والأن فقط ..

- لا.. أنا أتذكرك , لم أنساك يوماً .. كنت تسكننى .. تحتلنى , كنت ورما بقلبي .. ورم حميد تحوصل جزء من قلبي فأحاط بك ..

كنت أحيا بدونك بدون حياة , مجرد تمثال , آلة يحركونها بالريموت كنترول ,

طفلة فى ثوب إمرأة .. كنت كدمية تتحرك بلا مشاعر ولا أحاسيس ,

كنت أشعر دوماً أن كل هذا سينتهى يوماً ويعود كل شيء كما كان .

كنت ساكنة برغم أننى أفتقد السكينة .. هادئة برغم النيران التى تشتعل بداخلى ..

كنت غاضبة ومقهورة وخائفة وحزينة وموجوعة .. وبرغم كل هذه الآلام كنت ساكنه .. رفضت إجراء جراحة لإستئصالك .. لإستئصال ورمك من صدرى .

- ورم ؟! هل كنت بالنسبة لكِ ورم يا هند ؟!

- نعم كنت أحبك وأكرهك .. فعندما أخبرونى أنك تزوجت غيرى زواجاً عرفياً ..

لكنى علمت الحقيقة ..

خرج وتركني فجأة وبعد قليل وجدت زوجي وأهلى يملئون المكان ..

كان هشام يقف بعيداً ينظر لى ويبتسم ويقول عرفت طريقك فلا تتركيه "السعادة والحرية "

عندما وصلنا للقرية وجدنا الجميع يذهبون لتشييع جنازة أحدهم ..

قالت لي أمى ..

- هذه جنازة هشام نور الدين .

- هشام من ؟

- هشام نور الدين , منذ تقدم لخطبتك ورفضناه منذ أكثر من عشرين عاماً ترك البلدة ولم يعد إلا اليوم من الكويت ولكنه عاد فى صندوق خشبي .

- هشام من؟

كررت ثانيةً ..

- هشام من يا أمى؟

ألم ترينه يا أمى ؟ لقد بات معى الليلة فى الكوخ المهجور .. كوخنا القديم .

- يا هند لقد مات هشام منذ أسبوع .

تسارعت نبضات قلبي ثم شعرت أننى سأفقد توازنى وسأقع على مرأى من الجميع ,

ثم إنهرت تماماً أنتحب وأشهق كطفل خائف خارت قواى وأحلامى وكل جزء فىَ ..

كنت ألوم نفسي أقتلها لوماً على تركى لك لكننى لم أكن أعى ولم أكن أدرك شيئاً ..

إقترب هشام مرة أخرى منى وإحتضننى .. كان هذا هو دفء هشام , ونمت لا أعلم كيف نمت لكننى كنت بين أحضانه يقبلنى يقبل يدى ورأسي

- عادت ذكرياتنا معاً تملأ رأسي ..

نظرت له هل مت حقاً ؟!

إبتل وجهى بدموعه ..

أمى كاذبة خدعتنى كما خدعتنى من قبل هى وأبى .. أخبرونى بقصة زواجك من زميلتك ثم هجرك لها

علمت بعد أن طردتك من بيتنا أنهم كاذبون ..

وهى تكذب الآن .. تقول لى إنك قد مت وأنت هنا لاتزال بجوارى ممسكاً بيدى ..

ـ أتذكر كلماتك عندما كُنت تهمس بأذنى أحبك , غارق أنا بك , غارق حتى أذنى .

ـ أتذكرى أماكننا , أماكن عشقنا الدافئة , شفتاك تتحركان بكلمة أحبك ..

لم ير الحب مثلنا يوماً يا حبيبتى شربنا نهراً من الحب وسرنا فى طريق الحب حتى آخره ,

كنا معاً طفلين نلهو ونلعب

كنتى امرأتى لا زوج لكِ غيرى .

كان موضوع زواجنا محسوم .. عندما تتخرجى من كلية الطب حتى ذلك الوقت أنت زهرتى وملكتى

أوتذكرين عندما كنت أرافقكِ حتى الجامعة ..

أوتذكرين كوخنا هذا وسمكنا المشوى وأصابعك التى كنت ألتهمها مع الطعام ..

كم تمنيت أن أضمك لصدرى لكننى كنت أضم يدك , كم تمنيت أن أقبل شفتيك أن أسكر برحيقهما , لكنى كنت أقبل يدك .

ـ أذكر كل ذلك نعم .

أكمل قائلا :

ـ ولكنهم تنبهوا لنا إستكثروا علينا السعادة .. حسدونا على حبنا , لم نكن نريد من الدنيا إلا أن نتزوج , أريدك أنت أحبك أنت يا امرأة قلبى .

عندما تقدم زوجك ليخطبك صرخنا معاً فهو طبيب ناجح يكبرك بعشرة أعوام يملك أموال طائلة ويملك قلب كالصخرة الصماء .

هنا ترك والدك التفكير فى العلم , وطمع فى الأموال فقتلنى , أهدر دمى , بعثرنى ..

عندما تقدمت له أطلب يدك أهاننى , ثم جاءت أمى لتخطبكِ لى , لم تتحمل أمى استهزاءه بي ومقارنته لى بزوجك فأهانوها فعادت إلى البيت باكية ..

كم كنت أنا وأمى فى قمة سعادتنا عندما جئت خلف أمى تقبلينها وتعتذرى لى ولها .

- نعم يا هشام أذكر .

فأنت تعلم كم كنت أحب والدتك فهى إنسانة طيبة وحنونة .

- يومها أقسمت أنك لن تتزوجى غيرى .

- وفعلاً رفضت هانى , بل ناديته وقلت له فى وجهه أنت لا تقبل أن تتزوج فتاة تكرهك وتحب غيرك .

- رأيت والدك كيف صفعك .. تمنيت أن أقتله وأنتقم لك منه .. لكنه والدك .

- نعم يا هشام أبى سامحه الله ليته إكتفى بصفعى لكنه قتلنى , هانى أيضاً إنتقم منى شر إنتقام .

- نعم يا هند سمعت أنه أقسم أنه سيتزوجك .. ماذا كنتى تسمينه ؟

- آه نعم غندور .. لا أعلم لما أسميته هكذا ..

لأنه كان يتغندر فى مشيته كطاووس , كنا نتندر عليه دوماً .. لم أكن أعلم أنى سأبتلى به .

كانت خطتهم أن يجعلونى أكرهك .

- نعم كان معهم شيطان .

- تقصد شريف .

- نعم كان صديقى الوحيد لكنه خطط لقتلى .

- علمت أن أبي هدده بقتلى , كان يظننا نخدعه , فأراد الإنتقام منك , قال أنك خنت صداقتك به وأقمت علاقة حب مع شقيقته من وراء ظهره .

- لو كنت أعلم أنه سيتفهم لأخبرته .

- خطط شريف لكل شئ فإستغل صور إحدى الرحلات حتى يقنعنى بزواجك من أخرى أعطانى الصور وخطابات بخط مثل خطك تماماً

- وأنتِ صدقتيهم وطعنتِ قلبي بكلامك .

- أنتَ سافرت مباشرة لم تنتظر .

- من أخبرك بذلك ؟ لقد عدت فوجدتك تسيرين بجانب غندور يوم زفافك .. قرر والدك أن تُزفى وتسيرى فى البلدة بأكملها .

- كان أبى يحاول أن يواجه الإشاعات , فقد تحدث الناس عنى وقالوا إن ما بيننا كان شيئاً غير طاهر .

- كيف يظنون بكِ ذلك ؟

ما أوجعنى أكثر الراقصة التى رقصت بمنديل به دماء طُهرك .. كيف سمحت له ؟ كيف سمحتِ لهم ؟

- كنت مذبوحة . هل للذبيحة قدرة على مواجهة الجزار؟

سقطت في غيبوبة عميقة , دوامة من الذكريات .. كنت أحلم .؟!! نعم كنت أحلم ,, مات هشام

الفصل الرابع

مرحلة عودة الوعى

أفقت فوجدتنى في إحدى المصحات النفسية وقد تذكرت كل شيء ..

تذكرت قصة حبي لهشام وعلاقتى به .. تذكرت كيف أرغمنى أبى أن أقول له إرحل إننى لم أعد أحبك .. إرحل ودعنى .. وكيف كان وداعنا.. ثم دخولى للمستشفى بعدها .. نعم هذه ليست أول مرة أدخل فيها مصحة نفسية .

هل جاء ليودعني بعد موته ؟ هل جاء لينقذ حياتى من الضياع ؟

علمت أنه توفى إكلينيكاً منذ أكثر من عام , كان موضوع على أجهزة التنفس الصناعى طيلة هذا العام ، عندها بدأت أصاب بتلك الحالة الغريبة من الشرود .

لم أعد إلى البلدة بعد خروجى من المستشفى بل أخذت بناتي معى وسافرت إلى أمريكا .

سأحاول هناك أن أستعيد بناتي وحياتي التى تسربت من بين أصابعى .

هشام لن يعود فقد مات .. نعم هشام مات .

إستقبلنى شريف فى المطار فاتحاً ذراعية لكنى صفعته على وجهه ..

ثم احتضنته وبكينا معاً ..

- انت السبب .

قال :

- أعلم أتمنى أن تسامحينى .

- هشام مات .

- أعلم منذ عام وأنا أراه فى أحلامى يبكى وأحياناً كنت أراكما معاً فى الحلم .. لذلك بحثت عن عنوانه وعلمت أنه فى غيبوبة .

- هى ظاهرة غريبة حقاً .

- نعم يا هند أتمنى أن تسامحينى .

إحتضن بناتى وقبلهن ..

- ماذا ستفعلى مع هانى ؟

- لا أعلم ، ساترك كل شئ للأيام .

- مازلت زوجته ؟

- نعم ما زلت زوجته وما زال والد بناتى ..هذه حقيقة مؤلمة .

- وكيف تركتك حماتك ترحلى بالبنات ؟

- لأول مرة والدك يقف بجانبي .. أقنع هانى وحماتى بأن السفر فى مصلحة الفتيات وبأنك سترسل لهم دعوة لزيارتنا فى أمريكا .

ضحك شريف طويلاً ..

- حماتك ناقص تتكلم تركى وتقول :...

آمان ربي آمان .

لم أكن قادرة على الضحك فقلبي موجوع ومتألم كما أننى لم أسامح شريف على ما فعله بى حتى تصفو نفسي وأضحك على طرفته .. سرحت فى هشام .

تدمع عينى دماً عندما أتذكر تلك الحقيقة أن هشام لم يخنى يوماً لم يتزوج غيرى , لم يحتضن إمرأة سوايا , عاش على البعد لى أنا ..

أنا أيضا لم أحب غيره لم أعشق سواه .

حملت وولدت من غيره ولكننى لم أنساه .. سكن رجل ما جسدى لكن قلبي لم ينساه وعينى لم تنساه ، تناسيته أنا لكننى لم أنجح فى نسيانه، فى محو تفاصيله من عينى .

قلبي الآن يهمس لى أننى لابد أن أكمل الطريق وأن أحقق أمنيتك .. ألا أقتلك مرة ثانية .

صرت الآن إمرأة بائسة عليها طرق الأبواب حتى تتخلص من بؤسها وحيرتها ,

لا أعلم كيف مر الأمس بدونك ولا أعلم كيف سيكون الغد ؟.

هل عدت شفقة علىَ يا هشام ؟ هل كنت تعانى بسببي ؟.. بسبب حماقتى التى أنهت قصتنا معاً وجعلتنا نعانى عشرين عاماً من الهجر والفراق

كنا عالقين معا أنا وأنت .. عالقان فى حياة من البؤس والحرمان .

هل كنت سعيداً ياأبى وأنت ترانى أموت أمامك ببطء .. كل يوم يموت منى جزء ما.

أيام حبى لهشام كنت "بريئة جداً - رومانسية - حالمة " كانت الحياة فراشات وأزهار وشموع ،

بعد سفرك إنقلبت الفراشات لصواريخ والأزهار لقنابل عنقودية والشموع لبراكين وزلازل ..

ثم تحولت الحياة إلى صمت لا لون ولا طعم ولا رائحة

تشابهت الأيام ..

قال لى زميل يوماً :

- إن غموضك يا هند يحيطك بهالة جذابة.

لكننى لم أكن يوماُ خبيثة ..أقصد لم أتعمد يوماً أن أكون غامضة .

كنت مثل هشام كل سعادتنا عندما نقرأ ديوان شعر أو نستمع للموسيقى .

يوماً أهدانى ديوان "فى عينيك عنوانى" لفاروق جويدة. قرأناه معاً وحفظناه معاً .

كنا نردد قصائده وعندما نخجل من ترديد كلمات الحب نستمع لموسيقى الفصول الأربعة , ونقرأ أشعار نزار قبانى .

" متى ستعرف كم أهواك يا رجلاً أبيع من أجله الدنيا وما فيها .. لو تطلب البحر فى عينيك أسكبه أو تطلب الشمس فى كفيك أرميها "

عندما طالبت زوجى بالحب نظر لى نظرة باردة وقال:

- الحب والشعر لن ينفقوا على هذا البيت .

قلت :

- لكنهم سيمنحانا السعادة سيكونان سببا فى نجاحنا.

- إنت عبيطة وساذجة .. عيشى الواقع .

هل إمرأة تسعد بقربك وحنانك تكون "عبيطة"؟ إمرأة تحتسي معك كوباً من الشوكولاه الساخنة وهى تنظر فى عينيك بإبتسامة حالمة تشتاق لحبك وحنانك ..

هل هى امرأة "ساذجه " ؟!

وماذا صنعت بنقودك ؟غير أنك تكدسها فى البنك ولن تصرفها يوماً فقد ورثت من والدك أموالاً طائلة ، متى ستنفقها؟

ألم يكفك أنك تطعمنى رماد إمرأةً أخرى تنادينى بإسمها ثم لا تعتذر حتى و تنظر لى .. كأنه لم يحدث شيء ..

فى شهر عسلنا كنت تتركنى وتحدثها فى التليفون ، كنت تعاملنى كدمية تقضى معها حاجتك وتنام لا تعتقد أننى إمراة .

ألا تعلم أننى أحس وأتالم ؟ نعم كنت أتألم .

كنت حريصاً ليلة زفافنا أن تطمئن على عذريتى فذبحتنى بأعصاب باردة .

قصة حبي لهشام كانت تقتلك ، كنت تخشي أن يكون قد إقترب منى .. لم يكن هشام يحتاج لذلك - كان يمتلك الروح فلماذا يلمس الجسد؟!

سألت هشام يوماً :

- ماذا يعجبك بى ؟

قال :

- كل شىء .. حتى أننى لا أستطيع أن أعرف أية تفصيلة بك أجمل .

قلت :

- لست جميلة هكذا .

قال:

- أنا لا أحب جسدك أنا أراك كما رأى بشار بن برد محبوبته .

- وكيف رآها ؟

قال:

- كان بشار أعمى فلم يرها ولم يلمسها برغم ذلك عشقها وكتب فيها أجمل أبيات الغزل .

- ماذا قال ؟

قال :

- "وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحراً وكأن وقع حديثها قطع الرياض كسين زهراً وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهباً وعطراً"

أنا الآن قد رحلت بعيداً عن هانى وأمى وأبي حتى عن ذكرياتى مع هشام .

رحلتُ بعيداً عن نفسي لأحيا من جديد إمرأة أخرى بقلب أخر .

أيقظنى شريف عندما وصلنا منزله ..

إبتسم قائلاً :

- نمت طول الطريق تقريباً

- لا أنا مكنتش نايمة أنا كنت معه .

- مع من ؟

- كنت مع هشام .. فى الماضي كنت أخاف أن أحدثك عنه لكن الآن لن أحدثك إلا عنه .

- لاتنسي وجود بناتك .

- سأحكى لهم كل شئ.

حاول تغيير مجرى الحديث وأشار للفتيات ..

- هذا الشارع أخره مدرستكم .. انتم كنتم فى مدارس إنترناشيونال ولن تشعروا هنا بفرق كبير لا فى المناهج ولا فى التأقلم .

قالت دنيا :

- انت عندك أولاد يا خالو ؟

- عندى بنوته إسمها هند عسوله زى مامتكم .. عندها أربع سنين وعندى ولد صغير عنده ست شهور .

ايمى :

- إسمه إيه ؟

- إسمه هشام على إسم صديق عمرى .

دنيا :

- هنلعب معاهم كتير .

- طبعاً يا حبيبتى .

- أسميت أولادك على أسماءنا أنا وهشام ! هل أردت أن تجمعنا مرة ثانية؟ !

لم يرد شريف وواصل القياده والحديث مع البنات

- هذه هى المدرسة ايمى فى الصف الثالث ودنيا فى الصف الخامس.

- لم نعلم أين سنستقر .

- فى بيتى طبعاً .

سوف تتضايق زوجتك من هذاالوضع .

- عندما تتعرفي عليها ستعلمي كم سترحب بكم هى شخص مختلف ولن تخرجوا من هذا البيت انت وبناتك إلا يوم زواجكم .

ثم أوقف السيارة وقال بلهجة مسرحية ..

- تا تا تا .. هذا بيتنا .

شوفوا هيعجبكم جداً إن شاء الله .

خرجت هند الصغيرة راكضة وخلفها سيلفانا تحمل طفلهم الرضيع وعلى وجهها إبتسامة مرحبه مسحت الكثير من إحراجى ..

حمل شريف الحقائب وأدخلونا ردهة البيت ..

- الحديقة رائعةجداً .

- الحديقة الخلفية ستعجبكم ننوستى هى البستانى .

- من ننوستك يا خالو ؟

- إنتظروا حتى عرفكم بأسرتى ..

هذه زوجتى الجميلة نسيبة .

تعجبت للأسم ..

- نسيبة أنا أعرف إن إسمك سيلفانا .

- لا يا هند سيلفانا هذا كان قبل أن تصبح مسلمة مسلمة وهى بحثت فى سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وإختارت إسم نسيبة .

- لماذا إخترت إسم نسيبة ؟

قالت سيلفى أو نسيبة :

- على إسم أم عمارة صحابية جليلة "نسيبة بنت كعب ".

- أول مرة أسمع عنها .

- أم عمارة التى قال لها النبي صلى الله عليه وسلم "من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة" والتى دافعت عن النبي بمفردها يوم غزوة أُحد وظل المشرك يضربها على ذراعها حتى تفسح له المجال ليقتل النبي ولكنها لم تتحرك حتى قطع ذراعها وجاء أولادها وبعض الصحابة وتولوا الدفاع عن النبي .

فقال لها النبي " من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة" فقالت "أطيق وأطيق وأطيق ولكن ادعو الله لى حتى أكون رفيقتك فى الجنة "

فقال (صلى الله عليه وسلم) "انت وأهل بيتك جميعاً" وكانت تشترك فى الغزوات حتى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

كنت أستمع لها بذهول .. لم تكمل أربعة أعوام فى الإسلام وعندها كل هذه المعلومات وكل هذه الثقافة ..

تحدثت أخيراً :

- ما شاء الله إيه يا بنتى ده انت موسوعة .

إبتسمت وقالت :

- أبدلنى الله دينا وإسما وأسرة جميلة .. عندما سأحكى لكى حكايتى ستتعجبين يا هند .

قال شريف :

- ننوسة حريصة على التحدث بالفصحى أليس كذلك ؟

قالت :

- نعم إن شاء الله .. هيا بنا أريكم مكان اقامتكم حتى ترتاحوا من عناء السفر .

صعدت بنا للطابق الثانى وقالت :

- هذه تعتبر شقة مستقلة تماماً .. كان مالك البيت السابق يؤجرها منفصله عن البيت لذا ستجدوا بها حجرتين للنوم وصالة إستقبال

ومطبخ وحمام ستأخذون راحتكم فيها إن شاء الله .

- فعلاً المكان كان جميل والبنات أعجبوا بحجرتهم .

قالت نسيبة :

- أحضرت هذا البيانو للبنات عندما علمت أنهم يعزفون الموسيقي .

هناك بعض الألعاب الجديدة والثلاجة بها بعض الطعام لكنكم ستتناولون الطعام معنا دائماً .

شكرت شريف وقلت :

- كل هذا كرم منكم .. أنا سأحتاج أن تدلنى على مكان الجامعة وسأحتاج حتاج أشتغل لإن فلوس البعثة لن تكفينى .. إنت تعرف طبعاً كل الأماكن دى .

- طبعا هل نسيتى إن أنا قدمت لك على البعثة .. كمان هعرفك مكان جامعتك لكن إنت ستحتاجين إلى سيارة .. إستعملى سيارة نسيبة هى فى أجازة هذه الأيام حتى نشترى لك واحده لإن بيتنا فى الضواحى .

-المشكلة في الفلوس ؟

- موضوع الفلوس هو المفاجأة الثانية .. بابا وهانى حولوا لك فى حسابك مبلغ كبير جداً .

- بابا ممكن لكن هانى ؟؟؟.

- هانى ارسل لك المفاجأة الثالثة ورقة طلاقك وأعتقد إنك لن تغضبي .

- على العكس هذا أكثر شئ أسعدنى .. أخيراً أصبحت حرة وسأعيش فى أمريكا وأكمل دراستى .

- وتتعلمى دينك الصحيح من نسيبة .. تعرفى إنها بتعطى دروس فى المركز الإسلامى هنا .. أنا تعمقت فى الدين من وقت إسلامها .. كنت أصلى عندما أعود من العمل وأوقات أكسل ومعلوماتى الدينية قليلة جداً .

- معقول !

نادتنا نسيبة قائلة : - هيا الى الطعام .

تركنا شريف لنغير ملابسنا ثم نزلت أنا والبنات الى الأسفل .

قالت نسيبة :

- هلموا الى الطعام الساخن .

.....
.....

- عجبانى وإنتى بتتحدثى الفصحى يا نسيبة .

- تعرفى أجمل شئ تعلمته منكم إيه يا هند ؟

- ايه هو ؟

- هو ده .

وجدتها تحتضنى بشده وقالت :

- الحضن الكبير .

- انا سعيدة جداً بوجودك انت وبناتك معنا وهطلب منك تعلمينى كيف أصنع الطعام المصرى .

قال شريف :

- تتعلم وبعدين تعلمك هند يا حبيبتى مبتعرفش تسلق بيضة .

ضحكنا جميعا حتى هند الصغيرة .

قالت ايمى :

- فى مشكة إن البيت فيه إتنين هند هتتلخبطوا .

قال شريف :

- كل واحد هنا له إسم دلع يعنى نسيبة إسمها ننوسة وهند الصغيرة إسمها هنوده زى ما كنت بنادى هند دايماً وهشام إسمه إتش .

تذكرت أنه كان ينادى هشام أيضاً بـ إتش .

بعد الطعام ذهبت أنا وبناتى لننام .. إحتضنتهم ونمنا نحن الثلاثة فى فراش واحد .. دخلت نسيبة للحجرة ونظرت لنا بابتسامه جميلة وقالت :

- منظركم حلو .

همست لها :

- لانى أنا وهما فى حالة تعارف جديدة وحالة حب لم نجربه من قبل .

قالت :

- ناموا الأن وغداً نجلس معاً وسنتحدث كثيراً .

أغلقت الباب وغرقت فى نوم هادئ مطمئن ..

صباح اليوم التالى وبعد تناول طعام الإفطار أخذت نسيبة الأولاد جميعاً وخرجت للحديقة الخلفية المملوءة بالكرات الكبيرة والألعاب .

وأحضر لى شريف البومات الصور التى تجمعنى به وبهشام وذكرياتهم أيام الجامعة .

لكنى رأيت صورة لهشام وشريف ومجموعة كبيرة من أصدقاءهم بها الفتاة التى إدعت أن هشام تزوجها فأصابتنى رعشة .. أخذ شريف الصورة ومزقها كأنه يمزق دليل إدانة .

- إحكى لى بالتفصيل يا شريف مين البنت دى ؟

- دى إسمها نجوى .. كانت جريئة زيادة عن اللزوم وكانت بتحب هشام ولإنها كانت مغرورة إعتبرت رفضه ليها أهانة لكرامتها ..

فوافقتنى على الخطة الشيطانية اللى عملتها ونفذتها معايا بحماس ..

أتمنى تسامحينى يا هند .. وأنا مش هدافع عن نفسي .. الغضب وقتها كان عامينى إزاى أختى تكون على علاقة بصديقى .. ولما هانى ملأ البلد بالإشعات أنا كمان صدقت إن علاقتكم مكانتش بريئة

فحبيت أنتقم وقتلتكم يا هند .

مسحت بيدى دموع شريف فقبل يدى :

- أنا عاهدت هشام إنى هاخد بالى منك ومن بناتك .

- عاهدته إمتى ؟

- من أربع سنين قابلته هو ووالدته عند الكعبة .. كنا بنحج .. قعدنا مع بعض كتير وأقسم لى إنه عمره ما لمس إيدك ولا إنفرد بيكى وإن علاقتكم كانت شريفه وانه فضل يحبك .

- تعرف نفسي أحج وأكيد هشوف هشام هناك .

- هند فوقى هشام مات .

- هو مات بالنسبة للكل لكن أنا لسه بشوفه وأكلمه .. تعرف أنا ليه اتعلقت بهشام أوى كدا ؟

- ليه ؟

- أنا معرفش بس كنت بحس إنه أخويا وإبنى وأبويا ملانى بكل المشاعر دى .

- أنا وبابا فعلاً كانت معاملتنا باردة وقاسية أوى معاكى وهو كان حنين .

- علشان كده هو عايش .

- حتى الأن محدش يعرف هشام مات إزاى وإيه الحادثة اللى إتعرض لها .. كل إللى يعرفوه إنه إتعرض للحرق هو وسيارته .

- لا أنا عارفه الحادثه إللى إتعرض لها هشام ..

هشام خرج من مبنى عالى جداً وركب سيارته ومشي بيها وكان فيه عربيه بتطارده وبدأوا يضربوا عليه نار وهو كمان كان بيضرب عليهم نار فبدأوا يضربوا على الإطارات لحد ما عربيته إتقلبت والنار إشتعلت فيها والإسعاف نقلت هشام للمستشفى .

هم شخصين واحد كان عايز ينقذه والتانى كان عايز يقتله فحصل نزاع بينهم .

- إيه إللى إنتى بتقوليه ده ؟

- ده إللى كنت بشوفه فى الحلم كل يوم على مدار سنة كاملة .

وكنت بشوف هشام وانا صاحيه.. يمشي وانا امشي وراه وقابلته فى عشه الصيد .

- ده جنون .. لكن فى شئ غريب الحادثة انت بتوصفيها كإنك كنت حاضراها وهى دى الحادثة إللى تعرض لها هشام فعلاً .

- لا مش جنون دى حالة الصلة الروحية إللى بينى وبينه .. لكن هما ليه إستعجلوا وشالوه من على أجهزة التنفس كان ممكن يخف .

- الحروق اللى فى جسمه كانت حالتها بشعة .

- حروق إيه هشام ما إتحرقش هشام إنضرب بالرصاص .

- إنتى هتجننينى .. على فكرة خالته وولاده عايشين هنا فى أمريكا ووالدته بتيجى تزورهم ولما تيجى هنا هخليكى تشوفيها .

- أنا لسه بحلم بهشام وواثقة إنه عايش ..

هشام مماتش يا شريف .. لو الجثة اللى جت البلد وإتدفنت هناك دى جثة محروقة .. تبقي مش جثة هشام ولازم ندور ونعرف هشام فين .

تعرف إنى حلمت إنى بطوف بالكعبة وهو معايا علشان كدا صحيت منتعشه .

- أنا قابلته أثناء الطواف لما كنا بنحج أنا ونسيبة.

- طيب ممكن تحكى لى إتقابلتوا إزاى ؟

- كانت نسيبة وقتها داخله الإسلام بتتعرف عليه وكمان كانت مريضة جداً ووجدت فى طنط سميره صحبة جميلة وفرحت بيها جداً ..

هخليها تحكى لك على الفترة دى من حياتها وأروح أنا ألعب مع الأولاد .

جاءت نسيبة وجلست بجانبي سألتنى :

- إنتى نمت جيداً يا هند .. وشك منور .

- آه متتصوريش نمت بسرعة قد إيه وكنت مرتاحة .

- ممكن تحكى لى حكايتك .

إبتسمت قائلة :

- تقرأيها مكتوبة ولا تسمعيها .. أنا بكتب كتاب عن دخولى الإسلام .

- أمممم لا أفضل أسمعها منك وبعد كدا نقرأ الكتاب إن شاء الله .

- عندما تعرفت على شريف وأحببنا بعض إتفقنا على ترك موضوع الدين كحرية شخصية .. والدتى مسيحية متعصبة أما والدى لم يكن متدينا أبداً .. كانت والدتى تحرص على ذهابنا للكنيسة وتحيي فى بيتنا كل مظاهر التعصب للدين بخلاف أبي الذى لم يهتم يوماً بالدين أو العبادة ..

- مع شريف تعرفت على الدين الإسلامى واحده واحده .. لكن أول ما لفت نظرى هو الوضوء وحركات الصلاة وصوت شريف عندما يقرأ القرأن .. عندما كنت حامل فى هند كان شريف يقرأ علىَ آيات الرقية الشرعية فأشعر بالهدوء والسكينة وأنام ملأ عينى فلا تنتابنى الكوابيس .. طلبت منه تفسير بعض آيات القرآن فأحضر لى كتاب تفسير لمعانى القرأن مترجماً بالإنجليزية لم أكتفى بذلك فأحضرت مجموعة كبيرة من الكتب وعكفت على دراستها ليل نهار .. كان يرانى أقرأ فيبتسم لى ولا يتكلم .. كان شريف يضع أشرطة القرآن الكريم بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد وينام ويعيد الكاسيت تكرار الشريط حتى الصباح فأشعر بحالة من الراحة والسكينة تغمرنى واحلق كطائر.. أنظر إلى السماء وأشعر أن الملائكة تبتسم لى .. عكفت على دراسة تلك الكتب بنهم وفضول شديدين وتكونت لدى عقيدة واضحة بأن الاسلام هو الدين الحق وهو المنهج القويم الصالح لكل العصور وأحببت شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأحببت صحابته رضوان الله عليهم

-عندما إنتهيت من آخر كتاب كنت أقرأه كان الفجر يوشك أن يؤذن فذهبت لشريف وأيقظته وقلت له هيا شريف لنصلى الفجر .

جلس فى الفراش ونظر ناحيتى وقال :

- هل هذا حلم ؟

ثم أخبرنى أنه منذ أسبوع يتكرر هذا الحلم يرانى أرتدى جلبابه الأبيض الذى يلبسه لصلاة الجمعة ويرانى أوقظه لنصلى الفجر معاً .

قلت :

- ولكنك لا تحلم أنا الأن مسلمة حقاً وأريدك أن تعلمنى كيف أدخل الإسلام وأصلى .

- لكن لابد أن أتأكد بأننى لا أحلم .

فتناولت يده وقبلتها ..

قال :

- لا يكفى .

فعضضته فى يده حتى صرخ

طلب منى أن أشهد أن لا إله إلاالله وأن محمداً رسول الله ..

ثم حملنى إلى الحمام وعلمنى كيفية الغسل الإسلامى الذى يسبقه الوضوء ثم علمنى كيفية الوضوء ..

ولأننى لم أكن يومها أمتلك ثوبا يصلح للصلاة أعطانى جلبابه الأبيض حتى أصلى فيه .

وظل يحملنى بالبيت طيلة اليوم من مكان إلى مكان أخر لم يتركنى أسير على قدمى ..كان سعيداً بى ..

كانت سعادته بى تجعلنى أكاد أطير من الفرح .. لم أخبر أى إنسان بأمر أسلامى إلا بعد أن أتقنت الصلاة وحفظت بعض السور القصيرة وقرأت كتباً كثيرة للرد على الشبهات التى قد يواجهنى بها البعض وخصوصاً أمى ..

وفعلاً بعد شهرين من إسلامى دخل شهر رمضان المعظم إرتديت يومها الحجاب وذهبت به للجامعة فى الصباح وقابلنى الجميع

بالبرود والتجاهل ..

فى المساء ذهبت لزيارة أمى التى كانت صدمتها لا توصف حتى أنها بدأت تصرخ فى وجهى وبدأت ترمينى بكل ما يقع تحت يدها من أطباق وأكواب و.....

جُرحت يومها فى أكثر من موضع .. كنت أهرب من ضرباتها فأدوس على الزجاج وقطع الخزف المكسور .

أنقذنى أبى من يدها فطردتنى من البيت .. خرجت للشارع والدماء تسيل من وجهى .. لحقنى أبى وحملنى إلى إحدى المستشفيات القريبة .. هناك إتصلت بشريف فجاء مسرعاً ..

موقف والدى من إسلامى كان غريباً لم يرفض ولم يوافق .. قال أنه من البداية ليس واثقاً من وجود إله لكنه كان لا يريد الدخول فى أى صراعات مع أمى فتركها ولم يناقشها ..

ثم قال أنت لك كل الحرية أن تعتنقى ما شئت من الأديان

صدمت من إلحاد أبي ورفضه لفكرة الأديان .. على الأقل كنت أظنه مسيحياً .. أقصد أننى كنت أظنه من أهل الكتاب فيمكننى إقناعه بالدخول فى الإسلام ..

عدت إلى بيتى وصورة أمى الغاضبة تحزننى جداً .. إحتضننى شريف وقال لى إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء .. كل ما عليك هو أن تدعى لهم بالهداية ..

وحكى لى قصة أبو طالب عم النبي وأول من دافع عنه وكيف ظل يساعده ويحميه من الكفار حتى مات ولكنه مات على الكفر..
فإرتاحت نفسي .. فإن تركت أمرك لله تأتيك الراحة فأترك همك وأمرك لصاحب الأمر ودعه يدبر لك أمرك

- بدأ شريف يقترب من الله معى نتعلم ديننا معاً .. عدنا لشهر العسل مرة أخرى .. قرب بيننا الإسلام .. بدأت أشترى كتيبات صغيرة أوزعها كهديا على تلاميذى فى الجامعة وعلى صديقاتى .

لكن المفاجأة عندما ذهبت لمتابعة الحمل .. طلب منى الطبيب إجراء فحوص وتحليل صورة الدم الكاملة لأنه شك فى أمر ما ..

وتأكدت شكوك الطبيب وهى أننى مصابة باللوكيميا "سرطان الدم" كانت المشكلة فى حملى كيف سألد طفلتى ..

رفضت الإجهاض ورفضت تناول أى دواء قد يضر بها .. حاول شريف إقناعى لكنى صممت وعزمت أن أحتفظ بطفلتى ورفض العلاج فتدهورت صحتى ولم أكن أقدر على مغادرة الفراش .. فلازمت المشفى وتم نقل كمية كبيرة من الدماء لى حتى أستطيع الوقوف على قدمى .

وهنا صارحنا الأطباء بأننى لن أتمكن من الولادة وأن نهايتى وشيكة فعزمت على إنتظار الموت وتفرغت لقراءة القرآن والعبادة ..

وكم حمدت الله يومها أنه أنقذنى من الكفر وهدانى للاسلام قبل موتى وأنه إختار لى أن أدخل الجنة من باب الصبر ..

كان أخى بيتر أقرب صديق لى فى الدنيا .. لم تكن علاقتنا مجرد علاقة شقيق بشقيقته بل كانت علاقة صداقة وتفاهم وتقارب روحى ..

كان بيتر يعمل طبيباً .. عندما تأكد من صعوبة حالتى وأن نهايتى قريبة حصل على أجازة من عمله وقرر مرافقتى والإشراف على علاجى فى أيامى الأخيرة وإنتقل أبي كذلك للإقامة معى .. أما أمى فظلت على قسوتها وجمودها حتى أنها لم تزرنى أبداً ولم تلن أو تحن أو تعطف على إبنتها المريضة ..

كتبت وصيتى وجاء فيها إذا ولدت إبنتى حية لا يسمح لأمى بحمل طفلتى أو تربيتها ..

إنتهى شهر رمضان وشهر شوال جاءنى شريف ومعه أجمل هدية .. وهى تذاكر الحج ..

كانت فرحتى بهذا الأمر كبيرة جداً .. بكيت حتى خشي شريف أن أموت من الفرحة .

لا أستطيع أن أصف لكى مقدار سعادتى يا هند عندما رأيت الكعبة .. هناك تعرفت على أمى الثانية .. ماما سميرة أم هشام هذه الأم الحنون .. عندما علمت بمرضى إحتضنتنى وكانت معها مجموعة من السيدات المصريات لم يتركونى لحظة , علمت بأمر

ماء زمزم وقدرته على الشفاء .. كنت أشرب منه حتى الإضطلاع حتى تشفى إبنتى .. لم يكن يدور فى خلدى اننى قد أشفى لكنى دعوت الله وأنا متمسكة بأستار الكعبة أن يمُن علىَ وعلى إبنتى بالشفاء .

بعد إنتهاء موسم الحج عدنا إلى أمريكا وكنت قد بدأت فى الشهر التاسع وأشعر بالتحسن والقدرة على الحركة فطلبت من شريف أن أدخل المستشفى حتى ألد وأنا قوية

وجاء بيتر وأبى ورافقانى للمستشفى وتم إجراء بعض الفحوص وهناك عم الذهول الجميع فدمائى صارت نقية لا أثر للسرطان بها وقد شفيت تماماً حتى أننى غير مصابة بالأنيميا .. تعجب الطبيب عندما رأنى أسجد أنا وشريف لله شكراً وهنا شرح له أبى أننا مسلمين يومها قال شريف أن ماء زمزم كيماوى ربانى .

كان بيتر فى حالة من الذهول لكنه أشهر إسلامه فى المساء .. وأسمى نفسه معاذ .

وتزوج فلسطينية تلميذة له .. ووضعت بنوتتى الجميلة هند وعلى فكرة ماما سميرة جاءت لزيارتنا مرة أخرى وذهب شريف معها للإطمئنان على هشام عندما كان فى المستشفى .

كانت الدموع تملأ عينى وأنا أستمع إلى قصة نسيبة التى تركتنى وذهبت للإطمئنان على الأولاد .

فى المساء عاد شريف من الخارج يحمل لى خبراً سعيداً قال :

- عندى ليكوا خبر بمليون دولار .

- خير يا شريف !.

خرجت نسيبة من حجرتها ووقفت تسمع الأخبار

- ماما سميرة هتوصل أمريكا بكرا عند شقيقتها إقامة دائمة .

كانت فرحة نسيبة تفوق فرحتى حتى أنها قالت :

- الله أكبر أيوا كدا .. تعرفى يا هند أن هذه السيدة صاحبة أفضال

علىَ .

- عارفة وعلينا كلنا .. فاكر يا شريف .

- فاكر طبعا طفولتنا اللى قضينها مع هشام وطيبتها والحرية السعادة اللى كانت بتديها لنا وإحنا محرومين منها فى بيتنا .

- الست دى عاشت لإبنها فقط يا نسيبة بعد وفاة زوجها ورفضت تتزوج مرة تانية وكان أخوها وأختها عايشين هنا فى أمريكا .

برغم جمالها الباقى حتى الأَن .

- مهو إنتوا متعرفوش إن أكيد والد هشام كان حنون وجميل زيه وأكيد اللى تتزوجه مستحيل تتزوج غيره .

قالت نسيبة :

- لازم نرتب معاها تقضي معانا الويك إيند كل إسبوع .. هى كانت واعدانى بكدا .

- يلا أعمل إتصالاتك يا شريف .

قال شريف : - إن شاء الله .

الفصل الخامس

العودة من مواكب الراحلين

إنتظرت وصول أم هشام بفارغ الصبر .. حمدت الله على وصولها قبل أن تبدأ أيام الدراسة حتى أستطيع الجلوس معها بحرية .

عندما ذهب شريف لإحضارها كنت أتنافس مع نسيبة فى إعداد الطعام .. لها لكننى إكتشفت مدى جهلى فى أمور المطبخ أمام تمكُن نسيبة .. حتى من أطعمتنا المصرية .

إنتظرتها فى الحديقة .. تشاغلت بقراءة أحد الكتب فجاءتنى نسيبة مبتسمة وقالت :

- منذ نصف ساعة لم تغيرى الصفحة .. لماذا هذه اللهفة ؟ كأنك ستقابلين حبيبك وليس أمه .

- نعم أنا سألتقى به من خلال أمه وسأتحدث معها عنه وعما قاله لها عنى طوال السنين الماضية .

قالت نسيبة :

- شريف إتصل وقال أنهما سيصلوا بعد ربع ساعة سأتركك لأحضر نفسي ..

كم كانت نسيبة إمرأة رائعة تعرف كيف تُسعد زوجها وهو يتفانى فى إسعادها .. كم تمنيت أن أحظى بزوج مثله وببيت هادئ أملأه بحبي .. لكنى رزقت بزوج لم ينسي رفضي له فقرر الإنتقام .. فكرت كثيراً لو أنه سامحنى وقرر فتح صفحة جديدة وعاملنى بالحسنى وإتقي الله فىَ هل كانت حياتنا الزوجية ستسمر ..

وصل شريف وطنط سميرة للبيت فجريت نحوهم لإستقبالهم ..

عانقتنى طنط سميرة معانقة طويلة وقالت إنها تشم رائحة هشام وكأنها تعانقه .

كانت متعبة وضعيفة فأشفقت عليها كما أشفقت عليها شقيقتها من العيش بمفردها فى مصر مع ذكريات إبنها الوحيد .

سألتها :

- إزاى تقبل هشام موضوع زواجى .

- ياريت يا بنتى كان موضوع جواز بس لكن هو كان متهم بالضحك على بنات الناس .. كانت فترة حزينة .. لما إتخطبتى لهانى ساب البلد وكان بيرجع كل كام يوم يطمن علىَ ويتابع أخبارك ويسافر تانى .. وكان فى البلد يوم جوازك وشافك وإنت فى الزفة وحضر الحفلة من بعيد ورجع يقولى دبحوا هند يا ماما دبحوها بدم بارد .. هند شافتنى وعينها جت فى عينى ومعرفتنيش

قال شريف :

- هند كان معمول لها غسيل مخ وعلاج بالتنويم المغناطيسي فما كانتش واعية لأى شئ لدرجة أن الدكتور الكبير إبن الناس عمل لها دخلة بلدى

- صعقتنى كلمات شريف وحمدت الله أن البنات كانوا فى حجرة ثانية أكمل شريف :

- ليلتها إكتشفت الجريمة التى ساعدت بابا على إرتكابها وانتبهت لنفسي وقررت إنى أسيب مصر وأسيب بابا يعيش حياته زى ما هو عايز

- سألت نسيبة : - يعنى إيه دخلة بلدى .

ظهر الامتعاض على وجه شريف ولم يرد ..

وانكمشت على نفسي .

قالت طنط سميرة :

- دى كانت طريقة قديمة يا بنتى ان العريس يفض غشاء بكارة عروسته بيده وفى حضور عدد كبير من النساء حتى يتأكد من أنها عذراء .. وحتى الفلاحين وأولاد البلد بطلوا الطريقة دى من زمان .

تذكرت ما حدث .. لم يكن معنا ليلتها أى نساء ولم يكن مقرراً إجراء هذا الشئ لكنى فوجئت بهانى يطلب منى خلع ملابسي ويقف وفى يده جفت عمليات .. لم أفهم ما يريد لكننى كنت متعبة فإستسلمت له تماماً ولم أشعر إلا به وهو يتصبب عرقاً وينظر ناحيتى بتشفى ثم يخرج من الحجرة .. وسمعت ضرب النار فى الخارج والزغاريط ..

جلست نسيبة بجانبي وإحتضنتنى وقد تخيلت المشهد فإقشعر بدنها ..

أكملت طنط سميرة :

- بعدها سافر هشام وعاش بالكويت وكنت بروح أقضي معاه جزء من السنة وجزء فى مصر وجزء هنا فى أمريكا وأروح من رمضان لحد الحج أقضيه عند أختى إللى عايشة فى مكة لحد ما تعرض هشام للحادثة .

سألتها بلهفة :

- لكن إيه الحادثة إللى إتعرض لها هشام ؟

قالت طنط سميرة بألم :

- حادثة عادية كان سايق وسيارته إتقلبت وإتحرقت

- لا يا طنط هشام متحرقش هشام إنضرب بالرصاص وهشام لسه عايش .

- حرام عليكى يا بنتى .

- صدقي إللى بقولهولك أنا شفت هشام من لحظة حدوث الحادثة وحلمت بيه ..

كل ليلة كنت بشوف الحلم .. هشام عايش وممكن يكون مخطوف .

كان صوتى مرتفعاً.. حاول شريف تهدئتى لكنى طلبت منه مقابلة أولاد خالته وأخبرته بأن المدفون فى مصر ليس هشام ..

حاول شريف وزوجته تلطيف الجو ومنعنى شريف من فتح هذا الموضوع مرة أخرى رأفةً بأم هشام المريضة ووعدنى بأنه سيذهب للسفارة المصرية حتى نسأل عما حدث لهشام ..

بدأت الدراسة وكم كانت دراستى عسيرة شاقة فلقد نسيت فى سنوات التيه والشتات كثيراً من العلوم فبدأت أدرس من البداية .

أقضي يومى بين البيت والجامعة وإحدى المستشفيات التى كنت أتدرب بها .. أما بناتى فقد إنسجمن فى الحياة فى أمريكا .

طلبت من شريف إرسال دعوة لأمى حتى تزورنا وفعلاً جاءت أمى لزيارتنا .. جاءت محملة بالكثير من الأخبار ..

ألخبر الأول :

- زواج هانى من حبيبته الأولى بعد وفاة زوجها المسن ..

ألخبر الثانى :

زيادة الخلافات بين زوجة هانى وأمه دولت هانم التى تركت البيت للزوجة الجديدة .

ثم إكتشاف إصابتها بمبادئ ال زهايمر فأدخلها هانى مصحة نفسية تشبه دار المسنين ..

سبحان الله هذه المرأة كم عايرتنى بمرضي, حتى أنها أتهمتنى بالجنون , وكلما سمعت إسم مرض نفسي جديد قالت إنى مريضة به , ثم تدور بنا الأيام هكذا فتصاب هى بحالة التوهان والتشتت الذهنى وأُشفى أنا

الخبر الثالث :

زواج أبي من أرملة لم تكمل الثلاثين من عمرها والغريب فى الأمر هو أن أمى ليست غاضبة ولم تعتبر ذلك خيانة لها ,فقد كنت دوماً بعيدة عن بيتنا فلم أفهم أبداً طبيعة العلاقة بين أمى وأبي .

كان بيت شريف مكون من طابقين والبدروم يسكن به أسرة شريف وأنا وبناتى وإنضمت الينا أمى .. وطنط سميرة التى كانت تقريباً مقيمة معنا معظم الوقت .

كانت نسيبة تقوم بدور الداعية والقدوة التى تعلمنا وتوجهنا .. حتى بناتى أصبحن مواظبات على الصلاة .

أنام ليلاً فأرى هشام يقف بجوار بعض الخيول العربية مبتسما لى ..أظل أتأمله ويرانى وكأن بيننا حاجز ما يفصل عالمى عن عالمه . حتى توقظنى نسيبة لصلاة الفجر .. فوجود نسيبة فى حياتنا كان نعمة كبيرة فهى طاقة أمل ونور رزقنى الله بها .

كنت غارقة فى قراءة أحد الأبحاث حتى دخل شريف حجرتى وجلس صامتاً .. إلتفت إليه وسألته :

- مالك يا شريف ؟

قال :

- إنتى لسه واثقه إن هشام عايش ؟

- أيوا طبعا ليه إيه اللى حصل ؟

- حاجه غريبة .

- إيه إتكلم ؟.

- كلنا عارفين إن هشام مقطوع صباع إيده اليمين الصغير .

- أيوه فعلاً إتقطع وإحنا صغيرين لما كان بيلعب

قاطعنى قائلاً :

- الجثة اللى فى البلد كل صوابعها سليمة .

- مين قالك ؟

- ولاد عمه لما كانوا بيدفنوه فى البلد لاحظوا ده

- ومتكلموش ليه ؟

- متكلموش إلا بعد الدفن بمدة وواحد منهم بعت لعادل هاشم إبن خالته بيقول إن هشام جاله فى المنام بيقوله :

وصل بهاء لبلده وكل ليلة يحلم نفس الحلم .

- إنت عارفه إن هشام ترك أموال كتيرة فى البنك وكان عنده أرض فى البلد وبيت ومتركش غير أمه وعمه وولاده هما اللى هيورثوه ويهمهم إنهم يثبتوا موته ودفنه .

- وطنط سميرة مشافتوش ؟

- لا طبعا مشافتوش لإن الجثة كانت مشوهة فخافوا عليها .. عادل قرر يطالب بفتح القبر والكشف على الجثة وبيبحثوا عن جثة هشام فى الكويت .

حتى لما كان موضوع على أجهزة التنفس , ورحنا زرناه مكانش مسموح بالإقتراب من الجثة , علشان التعقيم , كنا بنشوفه من ورا زجاج العناية المركزة .

- هشام عايش إبحثوا عن هشام مش عن جثته هشام عايش فى مكان فيه خيول ..

هشام حلق شنبه الأيام دى وعنده ضرس مخلوع لما بيبتسم بيبان لكن لسه وسيم وجميل زى ما هو .

وقف شريف وقبل راسي ثم خرج .. فخرجت خلفه قائله:

- شريف اوعدنى تساعدهم وتدور على هشام .

- حاضر والله هدور عليه وأرجعهولك .

- حاجه كمان ممكن أقابل عادل هاشم قبل ما يسافر .

- هو زمانه ركب الطيارة لما يرجع هخليكى تقابليه .

لكن كيف سيمر الوقت حتى يرجع ؟ وكيف أستطيع السيطرة على دقات قلبي ؟ أكثر من ذلك كيف سأتنفس ؟.. لم أكمل البحث الذى كنت أقرأه ونزلت لأمى وجدتها تقرأ وردها الذى أصبحت تحرص عليه ..

جلست بجانبها حتى أغلقت المصحف ..

- ماما .

- مالك يا بنتى انت وشك أحمر قوى .

- خايفه يا ماما .

- من إيه يا حبيبتى ؟

- مش عارفه .

- إحكى لى يا ماما إزاى تقبلتى فكرة إن بابا يتجوز عليكى بعد العمر ده كله ؟.

- يا بنتى أبوكى صورة من هانى .. أبوكى إبن عمى كل هدفه فى الحياة إنه ينجح وإنه يجمع فلوس وإنكم تتفوقوا فى دراستكم علشان كدا كان بيلوم شريف لأنه كان مهمل فى مذاكرته .

- كنت بحس إن شريف بيكرهنى .

- وإنتم صغيرين كان شريف بيغار منك فبيزعلك دايماً .

- كنت بشوف زعيق بابا لشريف فبخاف فكنت بقعد أذاكر .. كل وقتى للمذاكرة لكن شريف كان بيتمرد وينجح بمجموع قليل برغم إنه ذكى .. دايماً كان بابا يقوله ذاكر مش مكسوف على دمك .. أختك الصغيرة أشطر منك .

أوحش شئ إن الأب أو الأم يعملوا مقارنة بين الإخوات تربوياً ده شئ غلط جداً لإن المسألة بتكون قدرات وميول .

- وإيه هيعرف أبوكى بالتربية .. هو برغم إنه متعلم لكن كان زى البلدوزر بيغضب من أتفه شئ وأفسد العلاقة بينك وبين اخوكى .

- وكان هشام حنين فكان بيعوضنى عن حب شريف وحب بابا .

- سميرة أمه كانت بنت خالتى وصحبتى الوحيدة وكنت بغير من حبها لجوزها وحبه لها ..إتجوزا جواز تقليدى زينا لكن هو كان

حنين أوى وراجل أوى .. قدر يخليها تحبه وتتعلق بيه وقدر يسعدها لكن أبوكى ...

- بابا طول عمره بيعاملك بإحترام .

- صحيح بيحترمنى لكن مكانش بيحبنى ولا بيفكر فيا .. شغله هو الأهم .. تعرفى إنه إتقدم لسميرة بعد وفاة جوزها لكنها رفضته .

- ليه بابا فكر يتجوزها ؟

- لأنه كان عايز يخلف أولاد تانيين لكنها رفضته ورفضت كل إللى إتقدم لها.. قالت إننا بنتجوز فى الجنة أخر أزواجنا فى الدنيا وكان كل همها إن ربنا يجمعها بزوجها فى الجنة .

- ياه للدرجه دى كانت بتحبه .

- وأكتر يا بنتى الحياة بينى وبين أبوكى كانت فاترة من أول يوم كأننا شركاء فى شركة حدد لى مهمتى إنه يلاقى بيت هادى ومريح وأولاد ناجحين وهو هيوفر لى الحياة الكريمة إللى بتمناها .

- وده إللى حصل لكن ليه يتجوز تانى !

- جه عليه وقت حس إن العمر إتسرق منه ..

- ده إللى بيسموه أزمة منتصف العمر .

ضحكت قائلة :

- دى أزمة أخر العمر .

- طيب وإنت يا ماما ؟

- أنا يابنتى فرحت إنه قرر يتجوز وفرحت انى سبته وبعدت عنه .. أنا كنت سلبية طول عمرى كنت بستقبل كل شئ منه .. إنفعالاته

وأفكاره وماشيه فى ضله لحد ما لاحظت حبك إنت وهشام لبعض وإن هشام إتقدم لك كنت خايفه عليكى لأن أبوكى هيرفض .

- يومها سكتى خالص .

- أيوا سكت .. تعرفى إنى إتمنيت إن أبوكى كان إتجوز سميرة لإنها كانت هتقنعه بجوازكم .

- للدرجة دى .

- أيوه واليوم ده كانت أول مرة أقف قدام نفسي وأسالها أنا إيه لازمتى ليكم .. إيه دورى فى حياتكم .. إزاى مقدرش أدافع عنك .. إزاى أقف ساكته وأنا شايفه أبوكى بيجوزك غصب عنك؟؟؟؟.... سكت طول عمرى وهو بيحرمك من طفولتك .. حياتك كلها مذاكرة طول الصيف وطول الشتا .. ويشترى لك لبس شكله غريب علشان ميكونش حد لابس زيك .

- النضارة إللى لبسها لى طول عمرى رغم إن نظرى سليم ممنوع أمشي مع زميلاتى للمدرسة

- حاجات كتير يا بنتى سكت ودايريت لحد يوم ما جت سميرة تطلبك لهشام وإزاى طردها من البيت كأنه بيرد لها القلم لأنها رفضته .. وبرضة سكت .. وكان مطلوب منى كمان أظهر موافقتى وإنى بأيده فى كلامه وبتعصب ليه وأحاول أقنعكم بقرارات أبوكم

وإلا كان يبقي يا ويلى .

فضلت أسكت لحد يوم جوزاك اليوم ده إتمنيت إنى أموت لأنى زى قلتى فى الدنيا .. رحت لأبوكى وبوست إيده ورجله وجاله شريف قال يا بابا خلاص هشام إنتهت علاقته بيها ممكن ترفض تجوزها

لحد هى موافقه عليها لكن حرام نغصبها تتجوز واحد هى رافضاه .. لكنه صمم على تجوزيك لهانى علشان الإشعات إللى هانى طلعها .

- من فضلك إهدى يا ماما .

- يا بنتى بعد اليوم ده إتغيرت حياتى تماماً, إنتى إتحولتى لإنسان آلى مبقاش فيكى روح ولا مشاعر .. أروح أزورك وأرجع حزينة .. هو ده منظر عروسة .

- كنت بتسأليني عامله إيه يا بنتى أقولك مش عارفه ومش حاسه بأى شئ .. لا فرحانه ولا زعلانه .. عارفه ليه يا أمى ؟

- ليه ؟

- لأنى كنت شبح .. مومياء .. جثة .. هى الجثث بتحس ! أهو أنا مكنتش بحس .

- أنا كمان من يوم دخلتك نزلت ستارة من الصخر بينى وبين أبوكى .. نقلت هدومى وحاجتى لأوضتك وقررت أعيش فيها .

- وبابا يا ماما مكانش زعلان علشانى ؟

- تصدقى إنه كان حزين وبيتقطع علشانك .. وخصوصاً لما يسمع إن هانى بيزور نيرمين حبيبته وإن علاقته بيها مستمرة رغم إنها متجوزة .

- وكمان هانى كان ليه علاقات تانية بأكتر من واحده .

- كان بيزعل وأحس إنه ندمان لكنه كان بيكابر ومبيعترفش بغلطه ابداً .

- وإنتوا كملتوا مع بعض إزاى وعشتوا من اليوم ده ؟

- بقي لكل واحد فينا حياة مستقله .. وبعد كام شهر شريف هاجر أمريكا بعدها حوالى سنة جالى خبر إن أبوكى بيموت فى المستشفى وقالى الدكتور إنه بيموت .

- أه قصدك لما افتكروا إن عنده جلطة فى القلب وأكتشفوا بعدها إن عنده فتق فى الحجاب الحاجز ؟

- أيوا يا بنتى فى اليوم ده .

- ده كان يوم مرعب كنت خايفه على بابا أوى برغم كل إللى عمله فيا لكنه أبويا .

- تعرفى يا هند إن اليوم ده شفت نفسي فى صورة تانية خالص .. بدأت أفكر هو ليه أنا مش حزينة وليه مش خايفه ولا قلقانه عليه .. عرفت إن أبوكى قتل كل شئ حلو بينى وبينه وإنه بقي إنسان عادى جداً بالنسبة لى .

- ياه للدرجة دى يا ماما .

- أيوا يا بنتى ولما رجع البيت وسألنى ليه مزرتوش فى المستشفى قلت له لإنى محبيتش ازورك .. سألنى ليه ؟ قلت له لإنى إتمنيت إنك تموت وكنت هفرح بموتك ..

مع إنى مش هقدر أعيش من غيرك .. لأن حياتى إرتبطت بيك من عمر 18 سنة ومماليش حياة بعيد عنك .. لكن تمنيت موتك .

- ورد عليكى قالك إيه ؟

- قال لو كان ينفع اطلقك كنت طلقتك بس إنتى بنت عمى وأم أولادى .

قلت له إعتبرنى مطلقة وإتعامل معايا بناء على كدا .

ومن يومها عشنا زى الأغراب لحد لما رجعتى تعيشي معانا ولما إنتى إطلقتى وسافرتى بدأت مراته ترمى شباكها عليه علشان عايزة تعيش فى العز هى بنت ناس على قدهم بدأت تزورنا فى البيت قال إيه..! هو عايز يكتب مذكراته وهى بتكتبها له على الأله الكاتبة .

ريحة البيرفيوم بتاعتها كانت بتملأ البيت وكانت بتحط المكياج على وشها زى البلياتشو متخيلتش إن أبوكى ممكن يبص على واحده زى دى فكنت بتفرج عليهم وأضحك فى سرى .

سنة كاملة بتجرى وراه .. تقرب منه .. وتتمسح فيه زى القطة .

- غريبة أوى يا ماما .

- ولا غريبة ولا حاجة هو فى الأول وفى الأخر راجل كان عايز ست تاخد بالها منه .

- هى داخله على طمع على كدا .

- أبوكى كتب كل شئ بإسمك إنت وأخوكى وبإسمى أنا كمان يعنى هى نقبها على شونة .

- ليه كدا يا ماما إحنا مش عايزين حاجه .

- ده حقكم ..هو لما جه صارحنى وقال إنه هيتجوزها قلت له إضمن حقوق ولادك قال إنه هيعيش معاها على معاشه والجنينة اللى فى البلد وكل الأرض الباقية والمصنع ده بإسمكم .

تعرفى إنه كان عارف إنها طمعانه فيه وعارف كمان إنها عايزة تعيش وده من حقها .

طبعاً لإنها إتطلقت من زوجها الأولانى علشان فقير وراحت عملت عملية أجهاض وبسبب العملية شالت الرحم وبقت غير قادرة على الإنجاب .

كان شرطى إنى أجى أعيش معاكم هنا .

قبلت يد أمى وقلت :

- ربنا ميحرمناش منك يا ماما .

- تعرفى أنا جيت هنا ليه كمان ؟

- ليه يا ماما ؟

- علشان أقرب من بناتك وأرتبط بيهم وأربيهم لك لما تتجوزى .

- أنا اتجوز ؟

- أيوا يا بنتى تتجوزى إنتى أصلك متجوزتيش قبل كدا ولا فرحتى يا حبيبتى .

- أنا هتجوز يا ماما هتجوز هشام .

- هشام ربنا يرحمه .

- هشام عايش يا ماما .

- يا بنتى شريف حكالى على كل حاجه ومش معنى إنه اللى إندفن فى البلد مش هو إن هشام عايش لأنه لو عايش طيب ليه مظهرش بقاله سنتين .

- أنا عايشة على أمل إنه عايش .

- أنا خايفه عليكى .. خايفة يحصل لك إنتكاسة تانية .

- متخافيش يا ماما أنا واثقة إنه عايش وإنه هيرجع لى بالسلامة وإنه مسامحنى .

- يابنتى خايفه عليكى معرفش ليه شريف حكالك وعيشك فى الأمل .

- متخافيش .

تركت أمى ودخلت حجرة نسيبة كانت تعلم ما أعانيها فقالت :

- الإنتظار مؤلم أليس كذلك .

- جداً جداً .

- طيب أنت لن تستطيعى المذاكرة .. عندى لكى حل جميل .

إبتسمت من لغتها الفصحى التى تتقنها يوماً عن يوم حتى جعلتنا نحاول مجارتها فى التحدث بها

- إيه هو الحل ؟

- برنامج عبادة .. قررت أقوم به ما رأيك أن نفعله سوياً خميس وجمعة وسبت يوافق الثلاث الأيام من أول شهر المحرم .

- طيب هنعمل إيه ؟

- صيام بالنهار قيام الليل بالليل مع عمل ختمة قرآن وطوال اليوم ذكر وتسبيح نتضرع الى الله .. أمى سميرة ستأتى وتنضم إلينا ونجلس جميعا نتضرع الى الله أن يعيد لنا هشام أو يخبرنا الحقيقة .

إحتضنت نسيبة.. كنت سعيدة بها سعادة بلا حدود وحاولت التحدث بالفصحى مثلها ..

- فكرتك عبقرية نعم أنا معك طبعاً وأمى ستنضم إلينا .

- إذن سأذهب للمطبخ وأقوم بتجهيز بعض الأطعمة للسحور .

ألقيت لها قبلة على الهواء فخرجت سعيدة ..

مرت الأيام الثلاثة فى حالة من الهدوء والإستقرار والراحة النفسية سلمنا أمرنا لله ..

قمت بفرش إحدى الحجرات بالموكيت وساعدنى شريف على إخلاءها من الأثاث وفرشها وحولناها لمسجد وقررنا الإعتكاف بها .

بعد الإفطار يوم السبت جاءنا عادل هاشم إبن خالة هشام ..

جلس عادل فى الصالون مع شريف وطنط سميرة .. لم أستطع التحمل فدخلت بلا استئذان وطلبت أن أجلس معهم .

قال عادل :

- أهلاً بكي يا دكتورة أنا عارف طبعاً حكايتك مع هشام وعارف إن إنتى طرف فى الموضوع ولازم تسمعى إللى هحكيه .

لم أحتمل هدوء عادل فقلت بإنفعال :

- إتفضل بدون مقدمات إحكى .

نظر لى شريف معاتباً وإبتسمت طنط سميرة التى كان شوقها الى سماع الأخبار أضعاف ما أشعر به ..

قال عادل :

- إللى حصل وإللى عرفته إن هشام كان بيشتغل فى شركة للبتروكيماويات والشركة دى ليها مجموعة من الفروع فى كل دول

الخليج كان هشام المدير المالى لفرع الشركة فى الكويت .. إكتشف قضية فساد ورشوة كبيرة فهدد بكشفها فما كان من رئيسه المختلس إلا مطاردته ومحاولة قتله .. وتم إنقاذه ونقله من المستشفى عن طريق أحد زملاءه من العاملين فى الشركة الى مكان لا يعلمه أحد .

- يعنى إيه ؟

- يعنى إللى مدفون فى البلد مش هشام وإن هشام خرج من المستشفى حى يرزق ولكن إصابته حالة غيبوبة ومحدش عارف هو عايش أم لا.. ولو هو عايش برضه محدش عارف هو فين .

لم تتحمل طنط سميرة الخبر .. طلب شريف لها الإسعاف .. لم أستطع إسعافها لأن حالتى لم تكن تقل عن حالتها ..

رافقت أمى خالتى سميرة فى المستشفى وتولت نسيبة أمر الأطفال جميعهم وتفرغت إنا للتفكير فجلست أتأمل حال هشام .. أخبرت عادل أن هشام لا يزال على قيد الحياة وأنه يعيش فى مزرعة خيول .

قال عادل أنه قام بتكليف محقق بوليس بريطانى للبحث عن هشام وأنه سيبلغه بأمر أسنانه المخلوعة ووزنه الزائد وشنبه المحلوق ومزرعة الخيول .

قلت له :

- لكنى لم أحكى لك عن وزنه الزيادة !

قال :

- أنا أيضاً أحلم بـهشام وخالتى سميرة تحكى لى أنها رأت هشام ممدد على سرير جراحة وكانت تجرى له إحدى الجراحات

قمنا بنشر صور هشام ورصدنا مكافأة كبيرة لمن يرشدنا عن مكانه وبدأ البحث عنه عن طريق البوليس الدولى وإكتشف فعلاً أن الجثة التى دفنت فى بلدتنا كانت لشاب مصرى من الصعيد إحترقت به السيارة فقام الشخص الذى أنقذ هشام بإستبدال بيانات الحالتين حتى يقطع علي القاتل أى أثر للبحث عن هشام .

طبعا كان هدفه نبيل وهو إنقاذ هشام من الموت وكذلك إبقاءه على قيد الحياة حتى يستطيع إثبات براءته فقد وجه له رئيسه كل التهم .

لكن أين هشام ؟؟؟

بعد أسبوع من البحث والتحرى سافر عادل دون أن يخبر أحداً وعند عودته وعندما سمح له بإستعمال هاتفه فى الطائرة كان الفجر يؤذن .. سمعنا رنين الهاتف ..

جريت لأرد عليه فسبقنى شريف ..

علمت أنه يُحدث عادل وأنه بالطائرة ومعه هشام ويريد أن يذهب شريف للمطار لإستقبالهم .. سقطت مغشياً علىّ ..

وعندما أفقت وجدت هشام بجانبي بحجمه الضخم وأسنانه المخلوعه وشنبه الحليق وشعره الذى إمتلأ بالشيب وإبتسامته المتحيرة وعيناه الطيبة .. كان هشام بجانبي لكنه لا يعرفنى .. لا يعرف من أنا .. فقد خرج من غيبوبته فاقداً للذاكرة .

دقائق طويلة لم نتحدث فيها .. دقائق طويلة مرت علينا وأنا أتأمل ملامحه الطيبة .. كان يشعر أننى شخصاً مهم بالنسبة له .. رأى المحاليل المعلقة بيدى فنظر لى بإشفاق ..

- إنت تعرف أنا مين ؟

- إنتى مراتى إسمك هند مش كدا ؟

- أيوه هند يا هشام لكن مين قالك إنى مراتك ؟

- حاسس بكدا .. كمان كنت بحلم بيكى دايماً كنت بشوفك وأكلمك وصورتك إنت وواحده ست تانية أعتقد إنها أمى كنتوا مبتفارقونيش فى الأحلام فأكيد إنتى زوجتى .

- لا أنا خطيبتك وحبيبتك لسه مبقيتش زوجتك .

قال هشام :

- يا عادل هات لنا المأذون علشان نتجوز .

رد شريف :

- عادل راح المستشفى يجيب والدتك .

- طيب لما ييجى نتجوز .

- ثانياً أنا شريف أخو هند وإللى كنت السبب فى إنكم متجوزتوش أتمنى إنك تسامحنى .

قال هشام :

- ولسه ناوى تكون السبب فى عدم زواجنا .

- لا يا عم توبة أنا إن كان عليه مستعد أجوزكم حالا لكن فى حاجات كتير تمنع زواجكم .

قمت من الفراش ونزعت الكنيونه من يدى وصرخت قائلة :

- إيه هى الموانع دى ؟

- أولاً هشام فى نظر القانون ميت لازم حُكم محكمة لإثبات إنه حى .. وإطمنوا الموضوع مبياخدش وقت كبير .

ثانياً إحنا فى أمريكا ومفيش مأذون .. لازم نروح كلنا مصر نخرج الجثة المدفونة هناك ونجيب حكم المحكمة ونعمل لكم فرح كبير .

الفصل السادس

السعادة والاستقرار

فى الطائرة المتوجهة الى مصر جلس هشام بينى وبين والدته وكان يحاول استعادة ذكرياته ببطء شديد ..

فى المطار وجدت والدى بإنتظارنا حمل هشام الصغير إبن شريف ورحب بزوجته .. كان أبي حزيناً وحيداً ضعيفاً .. تأثرت أمى حين رأته يبكى وهو يحتضننا .

عندما وصلنا البلدة إستقبلنا عم هشام وأولاده بالمزمار الجميل ورحبوا بهشام لدرجة أنهم أنزلوه من السيارة وركب على حصان أبيض مُزين حتى البيت .. وسار هشام أمامنا بحصانه

- أمام البيت نزل هشام وأمه ودخلوا بيتهم وعدنا جميعاً الى بيتنا الذى أصبح كالخرابة ..

علمت من إحدى الشغالات أن زوجة أبي الصغيرة عندما علمت أن أبي لا يملك إلا معاشه وبعض الإيراد القليل طلبت الطلاق وسرقت كل ما وقع تحت يدها من أثاث وذهب .

تعاون أبناء عم هشام حتى أثبتوا وجوده على قيد الحياة وتحدد موعد زفافنا .

لم تكن الذاكرة قد عادت لهشام لكنه كان سعيداً وفرحاً .. ظل يرقص بالحصان .. قال أنه عاش بعد أن أفاق من الغيبوبة .. عاش فى مزرعة للخيول العربية ولم يخبره صديقه بهويته الحقيقية خشية أن يُقتل .

إستيقظت يوم الزفاف فشعرت أن قلبي لا يكفى كل ما أشعر به من سعادة .

جاءتنى نسيبة لتوقظنى قائلة هيا أيتها العروسة الكسولة وراءنا عمل كبير .

كانت السعادة تدغدغ حواسي وكأننى أتزوج للمرة الأولى .. وجدت عفاف وبعض قريباتى فى صالة البيت جالسات مع أمى .. عندما خرجت لهن إستقبلننى بالزغاريط .

مع آذان العصر تم عقد القران بالمسجد .. نظرت من الشيش الذى يفصل مكان النساء عن مكان الرجال فرأيت أبي وهو يحتضن هشام قبل عقد القران ويضع يده بيده .. خفق قلبي بشده عندما سمعت الجميع يباركوا لى .

صمم أبي على أن يُقام لى فرح كبير .. كنت أرتدى فستان أبيض جميل وبناتى وهند الصغيرة يرتدين فساتين بيضاء ويجلسون أمامى .

رأيت هانى من بعيد ينظر على الكوشة الجميلة التى أجلس بها ثم ينصرف .. فأمسكت يد هشام بشده فهمس لى .. بحبك .

قال :

- تعرفى .. أنا رفضت أتزوج عندما عرض على صديقى أن يزوجنى .. رفضت وأخبرته أنى متزوج وزوجتى فى إنتظارى بمصر .

- كانت زوجتك منتظراك فى أمريكا .

- إنت عاجبك الفرح ؟

- بتسأل ليه ؟

- لإنى عايز أخطفك ونجرى من هنا .

صعدت طنط سميرة وماما ووقفوا بجانبنا فقال هشام :

- أنا عايز أخد مراتى وأجرى من هنا .

فنادت أمى على شريف وقالت :

- هشام عايز ياخد هند ويروح بيته .

قال شريف :

- إحنا هنتحرك من هنا بعد ساعتين على المطار

- أنا ومراتى عندنا شغل وهند وبناتها عندهم دراسة .. طيب هى هند هتسافر بالفستان ده ؟

- زى ما تحب .

- إحنا هنروح نغير هدومنا لحد معاد الطيارة . وفعلاً أخذنى هشام من يدى ودخلنا إحدى الحجرات لتغيير ملابسنا .. بعد ساعتين خرجنا وكانت السيارات فى إنتظارنا لكننا لم نجد ايمى ودنيا .. بحثنا عنهما فى كل مكان ولم نجدهم علمت أن هانى لن يتركنا نهنأ بالعيش .. إختفى هشام أيضاً ثم عاد هو وشريف بعد قليل يحمل ايمى وشريف يحمل دنيا .

- البنات كانوا فين وإيه إللى حصل ؟

قال شريف :

- أبداً يا ستى أتارى غندور أخد البنات ووداهم البيت لمراته .

والهانم لما شافتنى أنا وهشام قالت تعالوا خدوا بناتكم أمهم أولى بيهم أنا مش هربي بنات غيرى فجبناهم وجينا .

قال هشام :

- المشكلة إن الطيارة فاتتنا وهنركب الطيارة إللى بعد 12 ساعة من الأن .

قال شريف :

- عموماً هنسافر ونرتاح فى فندق المطار لحد معاد السفر .

- انتى جاهزة يا أمى ؟

قالت طنط سميرة : - جاهزة يا حبيبي .

قال شريف لماما ..

- وإنت يا ماما ؟

- لا يا إبنى أنا مش هسيب أبوك هنا لوحده .. هنطلع عمرة بعد أسبوعين من الأن ونرجع تانى على هنا وبعدين هنبقي نيجى نزوركم .

نظر أبي لأمى بإمتنان ..

قالت طنط سميرة :

- أصيلة والله يا أم شريف ربنا يخليكم لبعض .

- البركة فيكى يا أم هشام تاخدى بالك من هند وبناتها وهشام .

- دول فى عينية .

قال أبي :

- لكن إنتم هتفضلوا عايشين فى أمريكا على طول ؟

- إن شاء الله هنرجع تانى يا عمى أول ما هند تاخد الدكتوراه إحنا منقدرش نعيش بعيد عن مصر .. ولحد ده ما يحصل هحاول أستعيد حياتى وذاكرتى وأشوف هعمل إيه فى حياتى الجديده .

الفصل السابع

أرض الأحلام

وصلنا أمريكا للمرة الثانية لكن هذه المرة أصبح الوضع مختلفاً .. فقد تزوجت بمن أحب وتصحبنى بناتى وصارت علاقتى بشقيقي كما أتمنى .. وأصبح لى صديقة قريبة من نفسي هى نسيبة وترافقنى ماما سميرة أروع أم فى الدنيا .

وتركت أمى سميحة برفقة أبي حتى لا يكون بمفرده .. أتمنى أن يستطيعا التعايش معاً وإستعادة جو السلام النفسي .. إستقبلنا عادل فى المطار .

بعد أن رحب بنا قال مبتسماً :

- أتمنى تحلوا عنى وتسيبونى .. أنا معزوم فى مشاكلم بس لكن فى أفرحكم ولا إفتكرتونى .

سميرة :

- إزاى يا إبنى صحيح أنا مخلفتش غير هشام لكن ربنا يعلم إن غلاوتك متقلش عنه .

تنحنح شريف وقال :

- ماشي يا ماما بقي هى الحكاية كدا .

إبتسمت وقالت :

- والله يا شريف إنت كمان إبنى ونسيبة وهند كلكم ولادى إللى بفرح بفرحكم وأحزن لحزنكم ولولاكم كنت مت فلما حصلت لهشام مشاكلة . إلتف الجميع حولى ..

قال شريف :

- يا عادل بما إنك السواق الخصوصي بتاعنا شوف لنا عربية تانية علشان العربية دى مش هتكفينا ويلا بينا على البيت .

عادل :

- أولاً- هشام وهند وماما والبنات هيروحوا شقتهم الجديدة .

قلت لعادل :

- شقة إيه ؟

قال هشام :

- أنا طلبت من عادل يشوف لنا شقة نقعد فيها مؤقتاً علشان نكون على راحتنا لحد ما نشوف هنستقر إزاى .

- وليه مقولتليش ؟

- حبيت أعملهالك مفاجأة .

عادل :

- ولسه باقى المفاجاءات .. الشقة قريبة من شغلك ومن مدرسة البنات وهتعجبك يا دكتورة جداً .

شريف :

- يا هشام إنت عارف إن بيتنا كبير وإحنا إتعودنا على وجود هند والبنات عندنا وإنت مش غريب .

- عارف والله يا شريف لكن معلش خللينى على راحتى وعلشان زوجتك كمان تكون على راحتها .

عادل :

- إيه هنفضل نتكلم كدا كتير .. يلا بينا أوريكم الشقة .. أنا عندى شغل ومش فاضي لكم .

ركبنا سيارة عادل وركب شريف وزوجته وأولاده تاكسي وذهبنا لرؤية الشقة الجديدة .

كانت الشقة ينقصها أشياء كثيرة لذا أخذ شريف ماما والبنات لبيته وتركنى مع هشام قائلاً :

- جهز بيتك براحتك يا معلم ولما تستعدوا تعالوا خدوا ماما والبنات .

ثم غمز له بعينه .. فاهمنى ;)

- أيوه فاهمك .

شعرت بالخجل عندما فهمت مقصد شريف .. تركونا جميعاً .

دخلت حجرة النوم وحاولت تغيير ملابسى لكنى توقفت عندما طرق هشام الباب ..

قال هشام :

- بتعملى إيه ؟

- هغير هدومى .

- لا إستنى إحنا هننزل تانى .

- هنروح فين ؟

- هنروح نقضي أسبوع عسل فى شلالات نياجرا .. مش نفسك نروح هناك ؟

- بس مقلناش لحد .

- ونقولهم ليه ؟

- جايز ييجوا يزورونا أو البنات يحتاجونى .

- شريف عارف وهو وعادل إللى رتبوا الموضوع ومحبيناش نقول قدام البنات انت عارفه علشان الإحراج .

- يعنى هنعمل إيه ؟

- هاتى الشنطة الصغيرة هنحط فيها شوية حاجات ونعيش لنا يومين قبل ما تنشغلى عنى بالدراسة وبأمى وبالبنات .

ركبنا السيارة التى إنطلقت بنا فى رحلة الأحلام .. كم كنت سعيدة حين أمسك هشام بيدى فوضعت رأسي على كتفه وشعرت معه بالأمان وبالحب .. مر أسبوع العسل سريعاً وعند عودتنا كانت أحلى مفاجأة أن وجدنا الجميع فى إنتظارنا داخل الشقة .

وقد وضعت حماتى والبنات أشياءهم الخاصة فى حجراتهم وقاموا بفرش حجرتى وفرشت لى البنات السرير بالزهور الحمراء .

أما نسيبة فقد ملأت لى الثلاجة والفريزر بكل لوازم الطعام الذى سنحتاجه .

كانت أجمل مفاجأة إستقبلنا بها الجميع فما أحلى الحياة مع من نحب .

أما مفاجأة عادل فكانت تدبير عمل مؤقت لهشام كمحاسب فى مكتب أحد أصدقاءه حتى لا يشعر بالفراغ وأنه بدون عمل .

وفعلاً كانت هذه المشكلة هى أهم مشكلات هشام لأننا جميعاً من الغد سنتوجه لأعمالنا وسيبقي هو بدون عمل .

المشكلة الثانية كانت المال .. فقد رفض هشام أن يأخذ أى مليم من أموالى الخاصة فكان يعتمد على ما معه من مال فى إنتظار أن يرسل له أولاد عمه المبالغ التى كانت فى حسابه فى البنك لأنهم سحبوا هذه الاموال وقاموا بشراء أراض زراعية بها .

وعندما علموا أنه لا يزال على قيد الحياة تركوا له الأرض .. لكنه طلب منهم بيعها لأنه سيحتاج للمال .

فطلبوا منه مهلة حتى يرسلوا له ثمن الأرض ويشتروها هم .

كنت أعرف طبيعة هشام لذا لم أضغط عليه حتى ينفق من أموالى .. ولكنى كنت أشترى بعض ما يحتاجه البيت دون أن يشعر وكانت ماما تساعدنى فى ذلك .

عندما جاءت أمى وأبي لزيارتنا كنت حامل فى الشهر الثالث وكم كانت فرحتهم كبيرة بذلك الحمل برغم قلقلى أنا وهشام لأننى اقتربت من الأربعين وهشام أكبر منى فقالت أمى :

- بكرة ايمى ودنيا يتجوزوا والمولود الجديد يبقي معاكى علشان متحسيش بالوحدة .. البنات يا حبيبتى مكانهم خالى .

- يعنى إيه ؟

قالت ماما سميرة :

- يعنى البنت مالهاش إلا بيتها وزوجها .. وكمان أنا نفسي أفرح بأولاد هشام .

بقيت أمى معنا وعاد أبي إلى مصر .. لقد تغير أبي وصار شخصاً أخر .. أخرج ما بداخله من الحب والعطف وغمرنا به .

لقد أشفقنا عليه من الوحدة لكنه أصر أن تبقي أمى بجانبي حتى ألد .

فى حجرة أمى سألتها عن علاقتها الجديدة بأبى قالت :

- أبوكى إتغير جداً يا هند .. الراجل ده شخص مختلف تمام عن أبوكى إللى إتجوزته من خمسة وأربعين سنة .. بقي حنين ومرح بيحاول بكل طريقة يسعدنى .

- ربنا يسعدك يا أمى .

- وإنتى عامله إيه مع هشام ؟

- االاه يا أمى غرقانه فى بحر من السعادة .. ولولا متاعب الحمل وصعوبة الدراسة كنت حسيت إنى فى الجنة .

- ربنا يعينك يا بنتى .

- لكن هشام كتير بحس إنه قلقان وحزين .. نفسه ترجع له الذاكرة وخايف لما ذاكرته ترجع ينسي الأيام دى .. علشان كده إشترى كاميرة الفيديو اللى معاه وإبتدى يصور لنا كل لحظة فى حياتنا .

- يا خوفى للكاميرا دى تضيع أو تتسرق .

- لا متخافيش هو عامل لها باسوورد محدش يعرفه غيره وكمان مبنسجلش بيها إلا اللحظات اللى بنكون فيها مع بعض كلنا .. فاهمه يعنى بنكون لابسين هدومنا كلها .

ضحكت أمى وقالت : - ربنا يسعدكم يا بنتى .

مرت الأيام بنا حتى إقترب موعد الولادة .. قررت تأجيل بعض إختباراتى حتى ألد .

إستيقظت من النوم على الجلبة التى تثيرها الفتاتين قبل ذهابهم للمدرسة .. أيقظت هشام بقبلة على خده .. ضمنى لصدره وقال :

- أنا كنت صاحى لكن كنت مستنى البوسة دى أبدأ بيها يومى .

ثم ضمنى لصدره وقال :

- الحضن ده هو بيتى يا هند وخايف أخسره مره تانيه .

- متخافش يا حبيبي ربنا هيجمعنا مع بعض دايماً .

قولى برنامجك إيه ؟

- مفيش الشغل بس وانت ؟

- متنساش معاد زيارة الدكتورة النهارد هتعمل لى الفحص الأخير وتحدد موعد الولاده .

- إطمنى أنا مسجل الموعد هتلاقينى قبلك هناك

- طيب يلا علشان تفطر قبل ما تخرج .

خرجنا للصالة كانت أمى قد حضرت الإفطار وكانت ماما سميرة تملأ للفتيات حقيبة الطعام الخاصة بهم .. ألقيت عليهم تحية الصباح .

إبتسمت أمى وقالت :

- يسعد صباحك يا بنتى النهارده أول يوم فى الشهر التاسع .

- أيوه وبادئ بدايه غلسه يا ماما بيرفصنى أوى

ضحكت أمى وقالت :

- شكله هيطلع لاعب كورة .

قالت ايمى :

- أنا نفسي ماما تجيب بنت أنا مبحبش الولاد .

ردت دنيا :

- يا سلام وإحنا ميبقاش لنا أخ ؟

- يمكن مرات بابا تكون خلفت .

- لا هى عمرها ما هتخلف .

سألت ماما سميحة دنيا :

- ليه بتقولى كدا ؟

قالت دنيا :

- فاكرة يا ستو لما بابا أخدنا يوم جواز ماما وبابا هشام يومها سمعته بيقول لطنط نرمين هند إتجوزت وهتخلف تانى البنات دول من حقى أنا .. قالت له أنا مش عايزاهم . قالها إنت عارفة إنك مستحيل تقدرى تخلفى هيعيشوا معانا وإعتبريهم بناتك . قالت له إنت بتعايرنى بعدم الخلفة . يا ستى لا بعايرك ولا حاجه متنسيش إنهم بناتى .

هو ده إللى سمعته يومها وعرفت ان بابا مش هيكون له ولاد غيرنا .

قال هشام :

- يلا يا قمرات علشان هتتاخروا على المدرسة أنا هوصلكم النهارده موتورجل لكن بكره هستلم عربيتى الجديدة .

قلت لهشام :

- ماتاخد عربيتى النهارده .

- وانت هتركبي إيه وإنت رايحة لمعاد الدكتورة ؟ يلا يلا يا بنوتاتى .

خرج هشام مع البنات وجلست أكمل إفطارى وإنتقلت ماما سميحة وماما سميرة للجلوس فى ركنهم الخاص .. ركن الكروشية والتطريز .

- بتحسسونى إنى فى حصة تدبير منزلى شكلكوا حلو أوى .

قالت أمى :

- إحنا زمان كنا فعلاً حلوين أوى يا هند .

ضحكت ماما سميحة وقالت :

- أيوه كنا بنمشي فى الشارع نستعرض لبسنا وشعرنا وجمالنا .

- للأسف مكانش فى حد بيقولنا إن ده عيب أو حرام .

- فعلاً يا أمى الناس فى الستينات والسبعينات كانوا بيلبسوا براحتهم أوى .

قالت ماما سميرة :

- أوى .. كان المينى جيب والسواريهات العريانه لكن أنا لبست الحجاب لما زوجى توفى الله يرحمه .

قالت أمى :

- كانت الفلاحات بس هما إللى بيلبسوا طويل وبيغطوا شعرهم لكن سيدات المجتمع والطبقات العليا كانوا متبرجات .

أنا ملبستش الطرحة إلا لما كبرت وكانت طرحة تُل سمرا مبينه شعرى ورقبتى للأسف كل ما بفتكر الأيام دى بندم جداً .

قالت ماما سميرة :

- طيب يا سميحة ماهى دى التوبة .. الندم على الذنب والإقلاع عنه وإنت الحمد لله لبستى الحجاب الكبير الجميل .

حاولت تغيير مجرى الحديث لأنى لاحظت الحزن على وجه أمى ..

- ياريت تعلمونى أعمل كروشية .

قالت ماما سميرة :

- ده أجمل شيئ تقضي بيه وقت فراغك .. الكروشية ده بفرغ بيه كل الشحنات السلبية إللى فى جسمى .

- للأسف يا أمى أنا مبعرفش أعمله .

قالت ماما سميحة :

- هند عمرها ما كان عندها وقت فراغ كل وقتها كان للدراسة .

عاودتنى إنقباضات الرحم بصورة كبيرة .. ساعدتنى أمى وماما سميرة حتى أتمدد فى فراشي .

لكن شعرت برغبة فى القئ وببداية الطلق كانت الآلام شديدة .

إتصلت ماما سميرة بهشام :

كان هشام على باب شركته فعاد مسرعاً ..

إتصل هشام مرة أخرى وقال :

- خدوا هند للمستشفى وأنا هقابلكوا هناك .

ركبت السيارة مع أمى فى المقعد الخلفى وقادت السيارة ماما سميرة .. صحيح هى تستطيع القيادة لكنها لم تمتلك رخصة قيادة .. كانت أمى قلقة علىَ وتخشي أن يوقفنا المرور لكن الأمر مر بسلام

ووصلنا للمشفى وهناك تم إدخالى حجرة الولادة .. وقررت الطبيبة إجراء جراحة قيصيرية لى .

بعد خروجى من غرفة العمليات كان شريف ونسيبة والجميع بجانبي لكننى لم أجد هشام سألتهم :

- هشام فين ؟

- هشام تليفونه مقفول ومن الصبح مجاش .

- إزاى راح فين يعنى ؟

- والله يا بنتى كلنا قلقانين عليه .

- إتصلتوا بعادل .

- عادل مسافر هو مراته وأمه .

- طيب والحل إيه ؟

- أنا كلمت البوليس يا بنتى قالوا لى لازم يمر أربعة وعشرين ساعة على إختفاءه .

قالت نسيبة :

- إطمنى يا هند هشام هيرجع بالسلامة .

قال شريف :

- من شوية جت الممرضة وسألت عن إسم المولود هتسموه إيه ؟

قالت ماما سميرة :

- هيسموه محمد مش كدا يا هند ؟

- أيوا يا ماما هنسميه محمد .. لكن هشام فين أنا قلقانه جداً عليه .

خرجت من المستشفى بعد يومين ولم نجد أى أثر لهشام ..

أحضر لنا البوليس المحمول الخاص به والكامير وحقيبة أوراقه .. فقد وجدت مع أحد اللصوص .

قال شريف أنه قابل اللص وسأله عن هشام قال أنه كان يجرى على الطريق وإرتطم به فسقط هشام على رأسه فأخذ ما معه من أموال وأوراق وهرب قبل أن يفيق من الإغماء وعندما عدت للبيت كان البوليس فى إنتظارى للقبض علىّ لأنى تشاجرت مع شخص ما بالأمس .

قال الضابط إن كاميرة المراقبة أثبتت صدق رواية اللص .

مر شهراً كاملاً ولا نعرف أين ذهب هشام .. وضعنا صوره فى كل مكان ورصدنا مكافأة مالية لمن يحضره لنا .

عندما عاد عادل من سفره جاء مباشرة الينا وقال :

- إطمنى يا هند هنلاقيه .

ولا أقولك محلمتيش أى حلم من أحلامك تعرفى لنا مكانه .

- فعلاً أنا مستغربة إنى حتى لما حلمت كنت بشوف هشام شايل محمد .

قالت أمى :

- طيب يا بنتى دى بشرة خير .

قالت نسيبة :

- أول ما تقدرى تصومى يا هند هنعمل زى ما عملنا المرة اللى فاتت .. فاكرة جلسة ذكر ودعاء وإبتهال حتى يعود لنا هشام .

- إدعى يا نسيبة .

- أنا يا جماعة هروح بيتى أرتاح أنا رجعت بسرعة وسبت مراتى فى فرنسا عند أهلها .

قالت ماما سميرة :

- أقعد إتغدى يا حبيبي .

- لا أنا أكلت فى الطيارة .. لازم أروح أغير هدومى وأرتاح شوية وبعدين هرجع أتعشي معاكم .

خرج عادل وقامت ماما سميرة ودخلت لتتوضأ .. سمعت صوت بكاءها فإنضمت أمى إليها وإستمروا فى بكاء متواصل فشجعهم محمد وبدأ بالبكاء أيضاً .

أما أنا فكنت أشعر بالإطمئنان لكن كل ما خشيته أن يصيب ماما سميرة مكروه بسبب حزنها وبكاءها المتواصل .. كنت واثقة من عودة هشام

- عندما وصل عادل لبيته قابله أحد الجيران وأخبره ان متشرداً قام بإحتلال فناء البيت وأنهم قاموا بإبلاغ البوليس لكن المتشرد هرب عندما جاء البوليس .

عندما دخل عادل الحديقة وجد المتشرد قد احتل الفناء وقام بغسل ملابسه ونشرها ووجد إناء به بقايا الطعام .. قام بالدوران حول الفيلا فوجده نائماً خلف الفيلا .. إتصل بالبوليس فربما يكون هذا المُشرد مسلحاً .. خرج ينتظر البوليس مع جاره .

إستيقظ المُشرد عندما سمع صافرة سيارة البوليس وهرب بعيداً رأه عادل يعدو عبر الفناء ثم يقفز فوق السور هارباً .. ركب الشرطى

سيارته وبدأ بمطارده المُشَّرد وطلب من عادل فتح الفيلا ليتأكد بأن الرجل لم يسرق شيئاً ..

دخل عادل الفيلا فوجد كل شيئ فى موضعه فعاد لجاره ووقف بجانبه ينتظر عودة الشرطى .. سأل عادل جاره :

- متى ظهر هذا المُشرد ؟

قال الجار :

- رأيته يعبر الفناء بعد سفركم بأيام قليلة . أين والدتك وزوجتك ؟

- والدتى سافرت للسعودية وأنا وزوجتى كنا فى فرنسا .

لكن يا صديقى ألم يتحدث أحدكم مع هذا المتشرد ويعلم منه لما يحتل حديقة بيتى أنا بالذات ؟

قال الجار :

- لقد جاء وسألنى عنك وأخبرنى أنه قريبك القادم من مصر .

بدأ عادل يضرب كفاً بكف وصرخ قائلاً :

- هشام !! لابد أنه هشام إبن خالتى الذى فقد الذاكرة .

قال الجار :

- كانت ثيابه ممزقه ووجهه مجروح .

ترك عادل جاره الثرثار وجرى يبحث عن هشام بدأ عادل ينادى هشام ثم يجرى فى كل الطرقات منادياً .. هشام إظهر يا هشام أين أنت ؟

ظهر هشام من خلف أحد الأشجار واقترب من عادل .. إحتضنه عادل وركب معه سيارته وإنطلقوا الى بيت هند .

- عادل إحنا رايحين فين البوليس بيطاردنى ومعنديش أى أوراق .

أنا أصلاً مش عارف أنا جيت أمريكا إزاى وإيه حصل .

- يا ابنى إللى حصل لك ميخطرش على بال بشر .

- إنت كنت فين ؟

- أنا كنت مسافر فرنسا .

- أنا فعلاً رحت الصيدلية إللى إنت بتشتغل فيها وسألت عنك .

- إستنى لما نروح وتبدأ تحكى حكايتك للكل .

- طيب إنت ليه مدخلتنيش بيتك ؟؟

- علشان إنت هتروح بيتك إنت أنا خايف على خالتى هى قلقانه عليك جداً .

- بيتى ؟ هو أنا ليا بيت هنا ؟

- أيوا ليك بيت ووالدتك موجوده هناك .

بدأ هشام يلقى الأسئلة على عادل لكن عادل لم يجبه ورد عليه ..

- إستنى بس ده إنت هتتفاجأ .. المهم طول بالك

دخل هشام وعادل البناية التى يقطنها هشام .. ضغط عادل رقم الشقة فرد صوت قال عادل .. - نسيبة إفتحى الباب .

سأل هشام :

- مين نسيبة ؟

- أصبر على رزقك ..

عندما صعدوا للأعلى فتح الباب وخرج طفل صغير ماداً ذراعيه لهشام وقال :

- عمو هشام .

نظر هشام للطفل وسأل عادل :

- مين ده ؟

- ده هشام الصغير إبن شريف صاحبك .

- إبن شريف .. شريف جلال ؟

- بالظبط .

خرجت فتاتان وإحتضنتنا هشام وتعلقت الصغري برقبته .

قال هشام :

- ودول كمان ولاد شريف ؟

ثم جاءت نسيبة مبتسمة ونظرت قائلة :

- حمداً لله على السلامة .

- دى دكتورة نسيبة زوجة شريف .. قال هشام .

- أنا عارف الدكتورة إتقابلنا قبل كدا من زمان أهلا بيك يا دكتورة .

قالت نسيبة :

- واضح إنك فقدت الذاكرة .

قال عادل :

- والله أنا مش عارف هو فقد الذاكرة ولا رجعت له الذاكرة .

مال هشام على أذن عادل :

- إنت جايبنى بيت شريف ليه ؟

إحتضنت الفتاة الكبيرة هشام وقالت :

- وحشتنى أوى يا بابا متعرفش إحنا قلقنا عليك قد إيه دى ماما كانت هتتجنن وتيته ربنا كان عالم بيها .

مال على أذن عادل :

- هى دى بنتى ولا بنت شريف ؟

إبتسم عادل وسأل نسيبة :

- هو شريف فين ؟

قالت نسيبة :

- خرجوا كلهم مع هند .. ماما سميرة وماما سميحة راحوا يعملوا تشيك اب بسبب ظروفهم النفسية .. وهند كانت عايزة تطمن على محمد .

كان هشام ينظر للجميع بذهول ولا يفهم أى شئ لكنه قال :

- هى هند هنا فى أمريكا ؟

قال عادل :

- هند هنا ودول ايمى ودنيا بناتها .. يلا يا هشام أدخل الأوضة دى خد دش وإلبس أى حاجه من الدولاب إللى فيها .

ثم نظر الى نسيبة التى تتحدث فى الهاتف قائلاً :

- إنتم عندكم أكل ولا لا إحنا جعانين .

أنهت نسيبة المحادثة الهاتفية وقالت :

- حالاً سأجهز لكم الطعام لقد أخبرت شريف بعودة هشام فقال أنه لن يحكى لهم شيئ من أجل المفاجأة .

قال هشام :

- بقيتى بتتكلمى عربي كويس يا دكتورة نسيبة .

- نعم فهى لغة القرأن الكريم .

- دخلت مع شريف إلى البيت فوجدت هشام بداخله .. تركت الجميع وإقتربت من هشام وإحتضنته ..

كان هشام يرتعد وينظر ناحية شريف ثم ينظر لايمى ودنيا فيرى الجميع يبتسم .. أغرقت دموعى وجه هشام .. لم يحتضنى هشام ولم يلمسنى .. لم يكن يعرف أننى صرت زوجته .. لاحظت برود هشام لكنى لم أهتم .. كان إحساسي يقودنى دوماً .

تركت هشام ونظرت له فنظر لى بحب وشوق دخلت أمى وأمه وإحتضنتا هشام .. صار هشام يقبلهم ويحتضنهم ويقبل أيديهم

ناول شريف هشام محمد قائلاً :

- إتفضل يا سيدى الأستاذ محمد .

نظر هشام فى وجه محمد وقال :

- بسم الله ما شاء الله زى القمر ويبقي مين الأستاذ محمد ؟

ضحكت هند الصغيرة وقالت :

- ها ها هاى إنت حضرتك يا عمو متعرفش مين محمد ؟

قال عادل :

- أقعد يا هشام .. أقعد الأول .

جلس هشام وإحتضن محمد ثم قال :

مين وإزاى وإيه إللى بيحصل هنا ؟

قال عادل :

- محمد يبقي إبن هند وإبنك يا هشام .. هند مراتك من سنة .

أغمض هشام عينه ونظر ناحيتى ..

- يعنى لما ربنا يجمعنا ونتجوز نتجوز وأنا غايب عن الوعى .

قال شريف ضاحكاً :

- غايب عن الوعى إزاى يا عم إحنا شربناك حاجه صفره وجوزناك البنت يعنى .

قلت لهشام :

- لا إنت مكنتش غايب عن الوعى ولا حاجه .

لم أشعر بهم وهما يخرجون من المنزل .. أخذ شريف أمى ونسيبه وأولاده وأخذ عادل البنات وماما سميرة وإنصرفوا بهدوء ولم يعودوا للبيت إلا بعد ثلاثة أيام كنت فيهم أنا وهشام ومحمد فقط .. لم نرد على تليفون ولم نطلب طعام من خارج البيت ..

عاد لى هشام الطفل الصغير الذى كنت العب معه ونحن صغار .. حكيت له حكايته كاملة وحكى لى كيف تركنى .. مرت علينا الأيام الثلاثة كحلم جميل .. كنت أستيقظ من نومى فزعة لأتأكد أن هشام نائماً بجوارى ولم تكن عينى تغمض إلا وأنا ممسكة بيده .

بعد الإستقرار وحالة الهدوء التى شملتنا جميعاً فاجـأنى هشام بشراء بيت كبير لنا فى منطقة راقية ..

إنتقلنا له جميعاً .. عادت أمى لمصر حتى لا تترك أبى بمفرده أكثر من ذلك .. كان محمد شديد الإرتباط بى وبجدته سميرة التى ساعدتنى بحب وساعدتنى أكثر فى فترة الإمتحانات .

دخلت إبنتاى الى مرحلة المراهقة دون أن أشعر بهم لكنى فوجئت بالتغيير الطارئ عليهن .. فوجئت بدنيا التى بدأت تهتم بشعرها وملابسها وتضع بعض المكياج .. أعلم جيداً بسن الرابعة عشرة ومتاعبها . لكنى خشيت على إبنتى

عندما حكيت لهشام عن مخاوفى قال :

- إنتى بتبالغى أوى .. دنيا بنت زى العسل وعموماً خللى بالك .

- أخللى بالى إزاى وإمتحاناتى قربت .

- إسمعى يا هند بنتك أهم من أى شيئ فى الدنيا لازم تفتحى عينك .

- إنت هتخوفنى ؟ كنت بتقول ..

قاطعنى قائلاً :

- ده صحيح لكن إحنا فى مجتمع يحتاج إننا نفتح عيونا أوى ..

ممكن ننام .

- لا نام إنت أنا هروح أتطمن علي البنات .

دخلت حجرة البنات وبدأت فى تغطيتهم ..

بناتى لا يزالوا أطفال .. كانت دنيا تحتضن عروستها فإبتسمت وإطمأن قلبي وخرجت للصالة وجلست أذاكر .

اليوم التالى عادت ايمى بمفردها من المدرسة .. سألتها :

- أومال دنيا فين ؟

قالت :

- دنيا ماشيه مع أصحابها .. غلسوا عليه فسبتهم وجيت .

وقفت أمام البيت أنتظرها حتى جاءت وبرفقتها ثلاثة أولاد .. أحدهم يكبرها بعامين على الأقل . قدمتهم لى بأنها مشتركة معهم فى حفلة وتريد بعض الكتب عن الفراعنة لأنهم سيصمموا الديكور على هيئة معبد فرعونى كما اقترحت دنيا .

قالت دنيا :

- ممكن تساعدينا يا ماما .

وعدتها بعمل ملف لصور بعض المعابد الفرعونية .. إنصرف الأولاد وذهبت دنيا تودعهم فقام الولد الكبير بتقبيلها على خدها وخرجوا من بابا الحديقة .. لم أتمالك نفسي فصفعت دنيا على وجهها وصرخت :

- إزاى تيجى لى معاكى الأولاد دول وإزى الولد ده يبوسك يا مجرمة .

بدأت دنيا تصرخ بصورة مستفزة وتقول :

- إنت متخلفة يا ماما هذا صديقى إنت فاهمه

he is my boy friend

- يا نهار إسود بوى فرند إزاى يعنى إيه ؟

تركتنى ودخلت حجرتها .. إتصلت بنسيبة وقلت لها :

- إلحقينى يا نسيبة . ثم حكيت لها ما حدث .. طلبت منى أن اهدأ لابد أن نأخذ الأمر بعقل .

- البنت قالت إنها بتحبه .. قالت ماى بوى فرند

- إعرفى التفاصيل من ايمى .. ايمى أصغر لكن أعقل .. وسيبى دنيا خالص وهجى لك بالليل ونتكلم .

عندما تحدثت مع ايمى خرجت دنيا لتعتذر لى لأنها تحدثت معى بعصبية وقالت :

- ان كل البنات لهم أصحاب .

قالت ايمى :

- إلا أنا .

أنا بكره الأولاد.. كلهم تافهين ومغرورين .

قالت لها دنيا :

- لو فضلتى تصاحبى البنات بس هيفتكروكى شاذة .

صرخت فى وجهها :

- شاذة يا نهار إسود إنتى تعرفى معنى الكلمة دى إيه ؟

قالت دنيا :

- أعرف طبعاً يعنى مثلية .. مامى إحنا درسنا كل شئ عن الجنس .

- ومدرستوش الحلال والحرام .

قالت ايمى :

- مامى هو أنا شاذة ؟

- لا يا حبيبتى المجتمع هنا فيه كم كبير من الإنحلال وأنا بعدت عنكم كتير وكان لازم أفهمكم كأم وكمان كطبيبة إزاى تمروا بالفترة دى .

قالت دنيا بوقاحة :

- إحنا نعرف كل شئ ونعرف كمان إنت ممكن تقولى إيه .. مامى إحنا جايين من بلد متخلف لبلد الحضارة لازم نبقي زيهم .

قالت ايمى :

- مامى كل البنات إللى فى الصفوف الكبيرة بيمارسوا الجنس .

صرخت فى وجوههم :

- إزاى كدا . كنت سأتعرض لأنهيار عصبي من كلام بناتى خشيت أن أسألهم وهل مارستم الجنس فيجيبونى بنعم .

أنقذنى وصول نسيبة .. عندما رأت وجهى شعرت بحالتى .

طلبت منى أن أتركها مع البنات .. لكن قلبي لم يطاوعنى وظل الفضول يسيطر على فلم أتحرك بدأت نسيبة تحدثهم بهدوء وأنا صمت تماماً

لكنى فهمت من حوارهم الدائم أن دنيا تساير الوسط الذى ستحيا فيه وكل هدفها أن تفوز بلقب ملكة جمال المدرسة .

حكت دنيا كيف كان الأولاد يعاملونها قبل أن تتعرف بـ جو صديقها الذى جعلها تندمج فى وسط التلاميذ وأصبح الجميع ينظر لها بأحترام لأنها صديقة جو .

قالت نسيبة :

- وجو يعلم إنك مسلمة ؟

- أكيد عارف إنى مصرية مسلمة لكن الدين مش موضوعنا .

- أومال إيه موضوعنا ؟

- يعنى مبنفكرش فى الدين والأخلاق والكلام المتخلف ده كل إللى بنفكر فيه إزاى نكون مبسوطين .

كنت أضغط على أعصابي حتى أتحمل طعنات إبنتى لقلبي .

قالت نسيبة :

- حبيبتى أنا ولدت ونشأت فى هذا الجو ودرست فى هذه المدرسة وأعلم جيداً كيف يتعامل طلابها معاً وكانت لى صديقات كثيرات تركن المدرسة عندما أصبحوا حوامل وخسروا مستقبلهم وضاعت سعادتهم المؤقتة وصديقات صرن مدمنات وهناك من إنتحرن ومن قتلهن أحبابهن .

قالت دنيا :

- نسمع نفس الكلام لكنها إشاعات وقصص مكررة يحكيها لنا الأباء والمعلمون .

حملت نسيبة حقيبتها وقالت :

- غداً سأزوركم برفقة صديقتى .

خرجت خلفها فقالت :

- غداً الويك إند أصبرى ولا تتحدثى معهن فى شيئ غداً سأحضر لهن مفاجأة .

جاءت ايمى وجلست بجانبي وأنا أرضع شقيقها

- مامى هى إمتحاناتك إمتى ؟

- بعد ست شهور .

- وبعدها تكونى خلصتى دراستك ؟

- أيوه يا حبيبتى إن شاء الله لو نجحت أكون حصلت على الدكتوراة .

- وإحنا كمان نكون خلصنا امتحانات صح يا ماما ؟

- صحيح يا حبيبتى .

- طيب ممكن نرجع مصر .. ماما أنا مبحبش الحياة هنا .. فى مصر كنا كويسين صحيح كنتى بعيدة عننا بس هناك كنا أسعد .

- بجد يا ايمى إنت عايزة ترجعى مصر ؟

- ياريت .. لكن دنيا مبتحبش مصر وبتحب أمريكا وممكن ترفض ترجع معانا .

- مستحيل طبعاً كلنا هنرجع مع بعض .

- وخالو شريف كمان وعيلته كمان ؟

- معرفش خالك شريف هييجى معانا ولا لا.

عندما عاد هشام ليلاً ورأى حالتى ضمنى إلى صدره وقال :

- مالك يا هند إحكى لى إيه إللى حصل .

- بناتى هيضيعوا منى يا هشام .

- ليه بس فى إيه إحكى .

حكيت له ما حدث ..

فقال :

- إنتى عارفه سن المراهقة ومشاكلها .

- مشاكلها دى يا هشام لو إحنا فى مصر.. لكن إنت متعرفش هنا فى إيه .

- عارف وبشوف كل يوم وبسمع حاجات تقرف

- تعرف ان ايمى نفسها نرجع مصر .

- ياريت والله وأنا مستعد .

- طيب وشغلك ؟

- شغل إيه إنتم عندى أهم من الدنيا كلها وأنا إستقريت هنا علشان خاطركم بس .

- مصر كمان مشاكلها كتير .

- طيب يعنى مشاكلها كتير نهرب منها ولا نحاول نحل مشاكلها .

- عموماً نسيبة عاقلة وهى هتساعد البنات ومن هنا لحد لما يمروا الست شهور الباقيين نكون قررنا وشفنا هنعمل إيه .

أمى وابويا وحشونى .

- وأمى كمان نفسها نرجع مصر ونعيش هناك . يلا ننام وبكرا نشوف نسيبة هتعمل إيه .. ياريت تتعاملى مع البنات بعقل وهدوء .. العصبية مرفوضة تماماً .

- وإنت هتعمل إيه ؟

- أنا هاخدكم بكره ونروح نتفسح ونريح أعصابنا ونوريهم الحب والسعادة مرتبطة بالحلال وبرضا ربنا إزاى .

- أنا عندى مذاكرة كتير ومش هقدر أخرج معاكم خدهم إنت وفسحهم .

- مع إنها متتسماش فسحة من غيرك .

- معلش يا حبيبي أنا ضيعت وقت كبير ونفسي أخلص من الدكتوراة .

فى مساء اليوم التالى جاءت نسيبة ومعها صديقتيها من أيام الدراسة ..

قالت نسيبة :

- هذه كيلى وهذه إيمللى كانتا زميلتاى فى المدرسة .

قالت دنيا :

- بالعربية كيللى عاملة نظافة فى مدرستنا والجميع يعتبرها غريبة الأطوار .

قالت نسيبة :

- من الأمانة أننا نتحدث بالإنجليزية حتى يفهموا ما نقول .. ومن الأمانة أيضاً أن أقول لكم أنهما طلبتا ألف دولار حتى تأتيان معى لتحكى كل واحدة حكايتها .

قالت دنيا :

- يعنى اتفقتى معاهم وإديتيهم فلوس كل ده علشان إيه علشان تضحكوا علينا ؟

صرخت فى وجهها :

- بنت .. إنت اتجننتى إزاى تكلمنى نسيبة كدا ؟

قالت نسيبة :

- أظن لو عايزة أضحك عليكم مكنتش قلت لك الحقيقة .. هما فعلاً خدوا فلوس علشان يقولوا لنا الحقيقة إللى معاهم الدليل عليها .

ثم قالت لكيللى تبدأفى الحديث ..

فتحت كيللى حقيبتها وأخرجت البوم صور وعرضته علينا.. قالت :

- كنت أظن العالم لهو ولعب .. كنت جميلة ومحبوبة من كل أصدقائى وبخاصة الفتيان الذين كانوا يتنافسون لكسب ودى .

أنظرى هذه صورتى عندما فزت بلقب ملكة جمال عيد الربيع وهذا الشاب كان صديقى .. عندها وكنا نهرب معاً لقضاء الليل فى بيت جدته الصماء .. ندخل دون أن ترانا حتى جاء اليوم الذى إكتشفت أننى حامل وعمرى لم يتجاوز الخامسة عشرة .. هرب جيمى منى وتركنى أواجه المصيبة بمفردى .. لجأت لإحدى المعلمات فلم تكن لى أم لقد تركتنا وهربت وأنا طفلة صغيرة وكنت أعيش مع أبي وزوجته

أخبرت المعلمة أبي بالحقيقة وتم نقلى إلى أحد الأديرة .. عشت فيه خمسة أشهر كاملة حتى وضعت طفلتى .. لكنهم أخذوها لحظة ولادتها ولم أراها أبداً لكننى أعلم أنها على قيد الحياة تبنتها أسرة

حاولت بكل الطرق أن أعرف مصير طفلتى .. كنت أبكى ليل نهار ..

هربت من أبي وتعرضت للإغتصاب أكثر من مرة .. وعندما عدت هنا رأيت جيمى يواعد طالبة أخرى فلم أتمالك نفسي فطعنته بأحد الزجاجات الفارغة ودخلت السجن الذى قضيت به عشرة أعوام .

وعندما خرجت عدت هنا مرة أخرى لأقيم فى بيت أبي المتوفى وعملت عاملة نظافة فى المدرسة التى درست بها يوماً ما .. قررت أن أعيش ربما أعرف مكان ابنتى فى أحد الأيام .

أومأت نسيبة لإميللى حتى تتحدث قالت أيميللى :

- أنا وسيلفانا كنا زميلتين .. كنا نعتبر سيلفى غريبة الأطوار فهى تهتم بدروسها وتذهب للكنيسة .. أما أنا فكنت أجمل الطالبات أصاحب هذا وأترك ذاك ونتيجة هذا السلوك أننى سقطت فى دوامة الإدمان ومن يومها وأنا أعالج من الأدمان .. أدخل المصحة أقضي بها بعض الوقت ثم أهرب منها .

أعمل الأن راقصة تعرى فى أحد الملاهى الليلية

كان الذهول والرعب مرسومان على وجه بناتى

- خرجت كيللى وإيميلى وعادت نسيبة تحدث بناتى عما حببها فى الإسلام وتعاليمه .. وحكت لهم كيف تعرفت بشريف ولماذا أحبته .. كلامها جعلنى فخورة بأخى .

بدأت تسرد مميزات الحياة فى أمريكا من حيث إرتفاع مستوى المعيشة وتقدير قيمة العلم والإهتمام بالعمل وهذا لا يتوفر فى المجتمعات العربية والمسلمة .

لكن عيوب الحياة فى أمريكا تطغى على كل تلك المميزات

وقالت أنها تتمنى أن تربي هنوده فى مصر على القيم والمبادئ الإسلامية والشرقية .

- تعالى معنا سنعود فى نهاية العام للحياة بمصر

- صفقت ايمى بيدها وقالت :

- ياريت تيجوا معانا إنت وخالى شريف وهنودة وإتش .

أما دنيا فقد خرجت مفكرة وذهبت لحجرتها

نامت دنيا طيلة يوم الأحد ورفضت تناول الطعام إلى أن سمعت آذان المغرب وجدتها تدخل المطبخ وتحضر بعض الطعام وقالت أنا كنت صائمة .

- وليه مقولتيش ؟

- نويت صيام الصبح لما صحيت من النوم .

- طيب ينفع صيام من غير صلاة ؟

- كنت بصلى يا ماما والله أقوم أصلى وأنام تانى

- طيب وليه صايمة ؟ وليه نمتى طول اليوم ؟

- كنت بفكر .

- بتفكرى في ايه ؟ ويا ترى نتيجة تفكيرك ده وصلتك لفين ؟

- وصلتنى لحاجه هتحبيها أوى وهتفرحى بيها مفاجأة هتشوفيها بكره الصبح .

- مفاجأة إيه يا بنت أنا بكره المفاجأت .

- بس المفاجأة دى هتحبيها جداً .

- طيب هنشوف .. وإيه رأيك فى موضوع رجوعنا مصر ؟

- موافقة طبعاً .. وتركتنى وجرت ناحية حجرتها .

فى الصباح استيقظت مبكرة وإنتظرت فى الصالة لأرى مفاجأة دنيا .. وقفت ايمى بباب الحجرة وقالت والأن اقدم لكم الأنسة دنيا هانى وبدأت تتنرنم بموسيقى تا تا تا لا لا لا لا لا .

ثم خرجت دنيا من حجرتها وهى ترتدى الحجاب الأبيض الجميل .. كانت ترتدى جيبة من الجينز الكحلى وعليها بلوزة بيضاء جميلة ويزين وجهها الطرحة البيضاء .. أعجبنى مظهرها ورأيت هشام عاقداً يديه على صدره وينظر لها مبتسماً .. إحتضنتنى دنيا وقالت :

- إيه رأيك فى المفاجأة ؟

- جميلة واللبس ده حلو جداً .

- طبعا ماهو زوق بابا هشام .

- إنت يا هشام كنت عارف ؟

- أنا ودنيتى بنوتى الجميلة رتبنا كل شيئ مع بعض .

قالت ايمى :

- بابا هشام فسحنا كتير وإشترى لنا لبس وأنا كمان قررت ألبس الحجاب بس مش السنة دى يمكن السنة الجاية وحضرتك طبعاً عارفة ليه .

نظرت لدنيا قائلة :

- يعنى كنت مقتنعة بالكلام ده قبل نسيبة ما تيجى .

- أيوه يا ماما والله أنا مؤمنة بالله وعارفه إن ربنا كان غضبان عليه بس كنت بعمل زى البنات علشان مبقاش متخلفة زى ما بيقولوا .

خرجت الفتيات للمدرسة وقال هشام :

- نويتى نرجع مصر ؟

- طبعاً نرجع يا حبيبي .. يلا علشان تروح شغلك وأنا كمان عندى شغل .

- إيه رأيك ناخد أجازة النهارده ؟

- لا مستحيل عايزين نرجع مصر بعد ست شهور يبقي منزودش يوم واحد مفيش وقت نضيعه .

ركب معى سيارتى وقال :

- فى أراض فى مصر فى المدن الجديدة بفكر لما نرجع مصر أشترى مساحة كبيرة أبنى عليها بيت وأعمل فيها مزرعة خيول .

- إنت بقيت بتحب الخيل جداً .

- جداً جداً بس مش أكتر منك .. هبعت رسالة للحج محسن إبن عمى يشوف الأرض هناك ويعرف لى الأسعار والشروط وربنا ييسر إيه رايك ؟

- موافقة طبعاً .

- وأهى الأرض دى هتكون قريبة من القاهرة ويبقي ده مشروع لمستقبلنا .. موافقة ؟

- موافقة جداً .

- ياريت شريف ييجى معانا هو كمان .

ـ الفكرة دى فكرة شريف وهو راجع مصر قبلنا .. محسن هيشترى لنا ولشريف ونبنى هناك ونرجع مصر مع بعض .

ـ لما ييجى الصيف هنكون فى مصر

إن شاء الله

وعدنا إلى مصر فى الصيف .وتأكدت حينها أن مصر هى أرض الأحلام .وهى المكان الذى يتعرف فيه القلب على نبضاته .وتتعانق به الأرواح .

فى الطائرة همست فى أذن هشام لم تكن لروحى راحة يوما بعيدا عنك.. فأنت موطن الروح ولم تكن لجسدى راحة بعيدا عن مصر.. كان هشام يسجل بعض الكلمات على ورقة فأعطانى إياها لأقرأها كان مكتوبا بها

يا مصر يا سلطانة الدنيا

وسيدة العصور

أغفرى لى جهلى وحمقى

وما أرتكبته من غرور

الله كلمات جميلة جدا يا هشام

هى دى الكلمات اللى يجب ان يكررها كل مصرى لأنه فرط حقا فى واجبه تجاه مصر.

_زمان كانت مصر عظيمة لما كان المصرى عظام

فعلا لأن مصر ليست هبة النيل ولكنها هبة وهبها الله للمصرى حين كان يستحقها وأرجو ألاينتزعها منا عندما نتخللى عنها

النهاية.

صفحة الغلاف

عد مع الشمس إذا تجلت ..أو مع الظلمات إذا تراكمت بعضها فوق بعض

عد ولا تدعنى وحدى على حافة العدم الضيقة